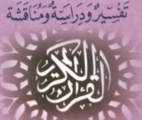
حديث نزول القرآن على سبعة أحرف

تفسير ودراسة ومناقشة





تأليف

دكتور / محمد إبراهيم محمد مصطفى

أستاذ أصول الفقه المساعد بجامعة الأزهر

حديث نزول القرآن

على سبعة أحرف

تفسير ودراسة ومناقشة



الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م

بطاقة الفهرسة

مصطفى ، محمد ابراهيم محمد

حديث نزول القرآن على سبعة أحرف ، تأليف

د/ محمد ابراهيم محمد مصطفى :

دار الكلمة للنشر والتوزيع ، ٢٠١٢م

١٦٠ص ، ٢٤

رقم الإيداع : ١٩٥٨٦ / ٢٠٠٠م

الترقيم الدولي :



دار الكلمة للنشر والتوزيع مصر ـ القاهرة ـ المنصورة

القاهرة . محمول : ٠١٠٩٧٠٧٤٩٥ ـ المنصورة . ص.ب. : ١٦٧

e_mail : mmaggour@hotmail.com

حديث نزول القرآن

على سبعة أحرف

تفسير ودراسة ومناقشة

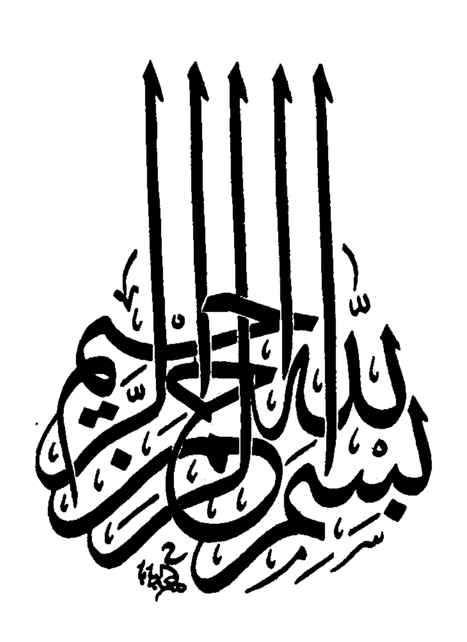
تأليف

دكتور محمد إبراهيم محمد مصطفى

أستاذ أصول اللغة المساعد بجامعة الأزهر

دار الكلمة

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩] ، فأعلى من الأمة قدرها ، وأبقى في العالمين ذكرها ، وذلك إذا قامت بدورها : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠] ، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف:٤٤] .

والصلاة والسلام على من أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، وكان فضله عليه عظيمًا ، فلهج لسانه بأفصح لسان ، وأبلغ بيان .

ورضي الله عن الصحابة والتابعين الذين قادوا الدنيا بالدين ، ونشروا لسان القرآن المبين ، فكتب الله لهم العز والشرف والتمكين .

وبعد ،،

فقد دارت أبحاث ومقالات ـ في القديم والحديث ـ حول حديث «نزول القرآن على سبعة أحرف» وتعددت الآراء حول تفسيره ؛ لأنه حديث قد تبوأ مكانة متمكنة بين صفوف الأحاديث الداعية إلى البحث والدرس .

ولما كان الحديث مبهمًا المراد منه ، كان هذا داعيًا إلى خوض غمار البحث فيه ، فقامت البحوث ، وتُدُولِت المناقشات ، من أجل كشف اللثام ، وإزالة الإبهام ، ولم تنته هذه البحوث ولن تنتهي ؛ لأن لكل وجهة هو موليها .

والحديث أساس من أسس التقعيد اللغوي ، لاشتماله على جانبين مهمين من جوانب اللغة ، وما أكثرها ، وهما اللهجات والقراءات .

فالأول : واقع لغوي ، والآخر : مسموع مروي ، فهما حقيقتان لا ينكران ، وجانبان ـ في اللغة ـ كبيران ، **والأولى** : فطرية ، **والثانية** : تعبدية ، وهل بين الفطرة والعبودية صدام ؟ هل بينهما تلازم وإخاء ؟ أو بينهما تنافر وإباء ؟ هل ـ هناك ـ علاقة بين الحقيقتين ؟ وما نوعها إذا وجدت ؟

هذه تساؤلات تجيب عنها الصفحات التاليات ، والتي ناقشت فيها آراء العلماء بالبراهين الجادة ، والأدلة الحقة .

وانقسمت آراء العلماء إزاء تفسير الحديث وتحديد المراد منه إلى آراء كثيرة ، ويمكن تصنيفها في مجموعتين :

المجموعة الأولى : آراء بعدت عن جادة التفسير ، وصواب التحليل ، فرصدت ـ هنا ـ قلمي لأناقش وأعلق وأحاور بالدليل ، وصولًا إلى الصحيح من الآراء ، والمرضى من الأقوال بما يقنع العقل ، ويشبع رغبة البحث العلمي النزيه .

المجموعة الثانية : آراء اتجهت في تفسير الحديث اتجاهًا سليمًا صحيحًا ، وهنا وافقت الأقوى من هذه الآراء ودعمتها بما يؤكدها ، والنتيجة يمكن أن يتفق عليها عدد من الآراء ، وتجمع عليها عدة وجهات ؛ إلا أن الوسائل والأساليب المؤدية إليها شتى وطرائق قددًا ، كالجداول الموصلة إلى المصب ، وإذا كان المصب واحدًا ، فالجداول قد تنوعت واختلفت ، وكلها دعامات تثبت ما تُوصل إليه .

وقد جاء البحث في نقاط درستها وناقشتها ، وعلقت على ما يمكن التعليق عليه ، سالكًا في ذلك كل فج ودليل نقلي أو عقلي أو لغوي أو غير ذلك لأدعم ما أذهب إليه .

وهذه النقاط تتلخص فيما يلي :

١ـ عرض لبعض روايات الحديث .

٢ـ ثم نظرت نظرات في تلك الروايات .

٣ـ أثبت بعض الآراء التي كان لها دور في تفسير الحديث ، وعرضت لها بالتحليل والتعليل .

٤ـ ثم رجحت رأيًا وعلقت عليه بما يقويه ويؤيده .

٥ـ عرض لقضية نزول القرآن بأي لغة ؟ وأبديت وجهة نظري بالدليل والبرهان .

* وهناك قضايا ومسائل مبثوثة في الكتاب عرضت لها وذكرتها ، مناقشًا ومحللًا ومعللًا ومفسرًا .

والحمد لله أولًا وآخرًا ، والصلاة والسلام على رسوله

دكتور
محمد إبراهيم محمد مصطفى
أستاذ أصول اللغة المساعد
بجامعة الأزهر


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

عرض
قضايا الكتاب ومسائله


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

أولا : دليل حديث نزول القرآن على سبعة أحرف

لقد جاءنا الحديث بالنقل الصحيح ، بطرق مختلفة كثيرة ، فقد روى حديث نزول القرآن على سبعة أحرف جمع كثير من الصحابة ﷺ منهم : عمر [ت٢٣هـ] ، وعثمان [ت ٣٥هـ] ، وابن مسعود [ت٣٢هـ] وابن عباس [ت ٦٨هـ] ، وأبو هريرة [ت ٥٩هـ] وأبو بكرة [ت ٥١هـ] وأبو جهم [نحو ٧٠هـ] ، وأبو سعيد الخدري [ت ٧٤هـ] وأبو طلحة الأنصاري [ت ٣٤هـ] ، وأبي بن كعب [ت٢٠هـ] ، وزيد بن أرقم [ت ٦٦ هـ] ، وسمرة بن جندب [ت ٦٠هـ] ، وسلمان بن صرد [الخزاعي ت ٦٥هـ] ، وعبد الرحمن بن عوف [ت ٣٢هـ] ، وعمرو بن سلمة [ت٨٥هـ] ، وعمرو بن العاص [ت ٤٣هـ] ومعاذ بن جبل [ت ١٨هـ] ، وهشام بن حكيم [ت بعد ١٥هـ] ، وأنس [ت٩٢هـ] وحذيفة [ت ٣٦هـ] ، وأم أيوب ـ امرأة أبي أيوب الأنصاري [ت ٥٢هـ] [١] .

فهؤلاء ـ جميعا ـ وغيرهم ، رووا حديث [نزول القرآن على سبعة أحرف] .

وسأكتفي بعرض ثلاث روايات ، لنقف على عدة ملاحظات في نصوصها :

الأولى : روى البخاري [ت ٢٥٦هـ] ، فقال : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْر ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ ، عَنْ ابْنِ شِهَاب ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُبَيْدُ الله بنُ عَبْدِ الله : أَنَّ ابْـنَ عَبَّاسٍ ﷺ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « **أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ ، فَرَاجَعْتُهُ ،**

---

(١) انظر : مقدمة جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ـ الريان ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ٢١ ، ومراجعة على محمد الضباع ، ط . دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »[(١)] .

الثانية : روى البخاري ومسلم [ت٢٦١هـ] ، ومالك [ت ١٧٩هـ] واللفظ للبخاري ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ : أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدٍ القَارِيَّ حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ ، يَقْرَأُ : سُورَةَ الْفُرْقَانِ ، فِي حَيَاةِ رَسُولِ الله ﷺ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ الله ﷺ فَكِدتُّ أُسَاوِرُهُ[(٢)] فِي الصَّلاةِ ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ ، فَقُلْتُ : مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ ، الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ ؟ قَالَ : أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ الله ﷺ فَقُلْتُ : كَذَبْتَ ، فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ ، فَانطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْتُ : إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةَ الفُرْقَانِ ، عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ» فَقَرَأَ القِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**كَذَلِكَ أُنزِلَتْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**» ثُمَّ قَالَ : «**اقْرَأْ يَا عُمَرُ**» فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**كَذَلِكَ أُنزِلَتْ فَاقْرَؤوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**»[(٣)] .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، حديث رقم ٤٩٩١ مكتبة الكليات الأزهرية ، ط ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، وصحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ١٠١ ، دار الكتب العلمية ، ط سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م .

(٢) أي آخذ برأسه ، وقيل : أواثبه : أي أعجل عليه .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري حديث رقم ٤٩٩٢ وصحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ٩٨ ، ٩٩ ، والموطأ للإمام مالك : كتاب القرآن ١٧٨ تصحيح / محمد فؤاد عبد الباقي / دار الحديث / ط٢/ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

الثالثة : روى مسلم عن أبي بن كعب ﷺ قال : كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ ، فَلَمَّا قَضَيَا الصَّلاَةَ ، دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ، وَدَخَلَ آخَرُ ، فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَرَآ ، فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَهُمَا ، فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ ، وَلاَ إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا قَدْ غَشِيَنِي ، ضَرَبَ عَلَى صَدْرِي ، فَفِضْتُ عَرَقًا ، وَكَأَنَّمَا أَنظُرُ إِلَى اللهِ ﷻ فَرَقًا ، فَقَالَ لِي : « يَا أُبَيُّ ، أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأْ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ ، أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي ، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ : اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ ، أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي ، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ : اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، فَلَكَ بِكُلِّ رِدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي ، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ ، حَتَّى إِبْرَاهِيمَ ﷺ »[1] .

*****



(١) صحيح مسلم ٦/ ١٠١ وما بعدها .


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

ثانيًا : نظرات في الروايات

بالنظر في الروايات السابقة ، نجد ما يلي :

١ـ الهدف من نزول القرآن على سبعة أحرف :

عندما نقرأ روايات الحديث السابقة وغيرها ، نجدها ـ جميعًا ـ تهدف إلى مبدأ التيسير والتخفيف والتسهيل على الأمة الإسلامية ، وعدم تنفير الناس من هذا الدين الجديد في بدايته ، ولذلك قرأنا عبارات : [فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدنيَ] وقوله ﷺ : « **فرددت إليه أن هون على أمتي** » وذلك في الحرف ، وفي الحرفين ، ومبدأ التخفيف تقرر لعدم طاقة الناس وقدرتهم على استيعاب الحرف الواحد ، حتى إلى ستة أحرف ، وقد روى مسلم ، عن أبي ابن كعب ﷺ أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار [(١)] ، قَالَ : فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ : « إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، فَقَالَ : «**أَسْأَلُ اللهَ مَعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تَطِيقُ ذَلِكَ**» ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ ، فَقَالَ : « **أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تَطِيقُ ذَلِكَ**» ، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاثَةِ أَحْرُفٍ ، فَقَالَ : «**أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تَطِيقُ ذَلِكَ**» ، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَؤُوا عَلَيْهِ ، فَقَدْ أَصَابُوا » [(٢)] . ونماذج الذين لا

(١) وأضاة : هي بفتح الهمزة والضاد : مستنقع الماء كالغدير ، وهو موضع بالمدينة النبوية ، ينسب إلى بني غفار ، لأنهم نزلوا عنده . فتح الباري ١٩/ ٣٣ .

(٢) صحيح مسلم ٦ / ١٠٣ ، ١٠٤ . وما بعدها .

يطيقون أن يقرؤوا القرآن على أقل من سبعة أحرف ، بينهم النبي ﷺ في الحديث المروي : لقي رَسُولَ الله ﷺ جِبْرِيلُ عِنْدَ أَحْجَارِ الْمِرَاءِ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيينَ ، مِنْهُمُ الغُلامُ ، وَالْخَادِمُ ، وَالشَّيْخُ الْفَانِي ، وَالْعَجُوزُ» ، فَقَالَ جِبْرِيلُ : «فَلْيَقْرَأُوا الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» (١) .

ويقول ابن الجوزي [ت٥٩٧هـ] : «فأما سبب وروده على سبعة أحرف ، فللتخفيف على هذه الأمة ، وإرادة اليسر بها ، والتهوين عليها ، شرفًا لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق ... وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، لغاتهم مختلفة ، وألسنتهم شتى ، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها ، أو من حرف إلى آخر ، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ، ولا بالتعليم والعلاج ، لا سيما الشيخ والمرأة ، ومن لم يقرأ كتابًا ، كما أشار إليه ﷺ فلو كلفوا العدول عن لغتهم ، والانتقال عن ألسنتهم ، لكن من التكليف بما لا يستطاع ، وما عسى أن يتكلف المتكلف ، وتأبى الطباع) (٢) .

ويرفض د/ إبراهيم أنيس [ت ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م] جميع الآراء التي فسرت الحديث ، ويأبى إلا أن يفسره بالغاية والهدف منه ، فيقول : (ولست أدري سر هذا الاختلاف ، وتعدد الأوجه ، إلا أن نعزوه إلى اجتهاد المتقدمين ، ومحاولتهم التوفيق بينه وبين ما تواضعوا عليه في شأن القراءات ، ونحن لا نشك ـ الآن ـ في أن للحديث وجهًا واحدًا يتفق والمنطق الإسلامي الذي

---

(١) مسند الإمام أحمد عن حذيفة ٥ / ٣٨٥ ، ٤٠٠ / دار صادر / بيروت ، ومسند الطيالسي عن أبي ١/ ٧٢ حديث رقم ٥٤٣ / دار المعرفة / بيروت ، وجامع البيان ١/ ١٢ .

(٢) النشر في القراءات العشر ١ / ٢٢ .

يتلخص في أن الدين الإسلامي قد دعا الناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها إلى الإيمان به ، واتخاذه عقيدة لهم ، فلم يبعث النبي ﷺ لشعب ـ خاص ـ من الشعوب ، وإنما أرسل إلى الناس كافة ، هذا إلى أن الدين يسر لا عسر ، فقد اشتملت أحكامه وتعاليمه على كثير من الرخص حين يشق على الناس أمر من الأمور ، فنحن حين ننظر إلى هذا الحديث في ضوء الروح الإسلامي ، نرى أنه ليس إلا إحدى تلك الوسائل التي أريد بها التيسير على الناس ، ومنع المشقة عنهم ، فالمسلم أيًّا كانت لهجة ، وأيًّا كانت بيئته ، وأيًّا كانت تلك الصفات الكلامية التي نشأ عليها وتعودها ، ولم يقدر إلا عليها ، يستطيع أن يقرأ القرآن بالقدر الذي تعودته عضلات صوته في نطقه بلهجته أو لغته ، ويجب ألا ننكر عليه ، أو أن نهزأ من قراءته ، فقد حاول بذلك الجهد ، فله أجر اجتهاده ، وجميع الروايات التي صاحبت قول هذا الحديث تؤيد ما نذهب إليه من أن النبي ﷺ لم يُرد به إلا أن يمنع الناس من القدح في قراءة غيرهم وإنكارها عليهم) ثم يعرض د/ أنيس لرأي ابن الجزري [ت٨٣٣هـ] وابن قتيبة [ت٢٧٦هـ] وكلاهم في مبدأ التخفيف ، ثم يقول : (والفرق بيننا وبين أصحاب هذا الرأي هو أنهم قصروا الأمر على لهجات العرب ، في حين أننا نجعله أعم وأشمل ، أي أن قصد التيسير والتسهيل يشمل جميع المسلمين على اختلاف ألسنتهم وأزمانهم : في الماضي والحاضر والمستقبل ، فليست تلك الحروف السبع التي أجيز قراءة القرآن بها مقصورة على اللهجات العربية ، بل تشمل جميع لهجات المسلمين في جميع بقاع الأرض ، فإذا قرأ الهندي المسلم القرآن ـ أمامنا ـ ولاحظنا بعض الخلافات الصوتية في نطقه ، وجب ألا ننكر عليه قراءته ، فهي غاية جهده ، ولا يقدر على غيرها)(١) .

---

(١) في اللهجات العربية ٥٥ وما بعدها/ مكتبة الأنجلو المصرية/ ط٥ .

تعليق :

ونحن مع د/ أنيس في أن الهدف من الحديث التيسير والتسهيل ، لكننا لسنا معه في أمرين :

أ ـ تفسير الحديث بالهدف ـ فقط ـ لأنه كما ورد ﴿ فَٱقْرَءُوا ﴾ ﴿ مِنْهُ ﴾ [المزمل:٢٠] ورد ـ أيضًا : «**أنزل على سبعة أحرف**» فلفظ (سبعة) يحتاج إلى تفسير ، وتوضيح وجلاء .

ب ـ ليست قراءة المسلمين اليوم أيًّا كانت بيئاتهم ولغاتهم ـ تمثيلًا للأحرف السبعة ، بل هي جزء منها ، فالتمثيل غير مسلم به .

٢ ـ مصدر القراءات :

القراءات ـ على حد تفسير الأحرف بالقراءات ـ مصدرها الوحي وهذا واضح في الروايات المذكورة ، ففي الرواية الأولى ، نجد عبارة : «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ» ، وفي الثانية ، نجد عبارة «كَذَلِكَ أُنزِلَتْ» ، وفي الثالثة نجد عبارة «أُرْسِلَ إِلَيَّ» ، وجاء ذلك الأمر صريحًا جليًّا في رواية مسلم : «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ» وهذا يدل دلالة لا شك فيها ولا مراء حولها ، أن القراءات مصدرها الوحيد الذي نبعت منه ، إنما هو الوحي من عند الله ـ وهذا بخلاف ما ذهب إليه د . طه حسين [ت١٩٣٧م] ، حيث قرر أن مصدر القراءات ليس الوحي ، وإنما هو اللهجات ، وهذا واضح في عبارته التي يقول فيها : [وهنا وقفة لابد منها ، ذلك أن قومًا من رجال الدين فهموا أن هذه القراءات السبع متواترة عن النبي ﷺ نزل بها جبريل على قلبه ، فمنكرها كافر من غير شك ولا ريبة ، ولم يوفقوا لدليل يستدلون به على ما يقولون ، سوى ما روى في الصحيح من قوله ﷺ : «**أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**» والحق أن ليست هذه القراءات

السبع من الوحي في قليل ولا كثير ، وليس منكرها كافرًا ، ولا فاسقًا ، ولا مغمزًا في دينه ، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها ، للناس أن يجادلوا فيها ، وأن ينكروا بعضها ويقبلوا بعضها»[1] .

* وربما يفهم من كلام د/ طه أنه اعتمد على ما يلي :

أ ـ عدم توفيق العلماء واهتدائهم إلى الأحاديث التي يثبتون فيها أن القراءات وحي ، وترتب على ذلك عدم أحقيتهم في تكفير منكر القراءات .

ب ـ اختلاف القراء كثيرٌ .

* ويرد عليه بما يلي :

أ ـ كثرة طرق الحديث المختلفة والمتنوعة ، ولم تكن رواية واحدة مع أنها تكفي ـ والتي تثبت ـ بجانب التخفيف والتيسير ـ أنها وحي من عند الله ﷻ وليست القراءات السبع فقط ، بل يضاف إليها القراءات الشاذة يقول ابن الجزري : «والقطع بأنها منزلة من عند الله واجب»[2] . واشترط علماء القراءات شروطًا لقبول القراءة ، وهي : «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا ، وصح سندها ، التي لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء أكانت عن الأئمة السبعة ، أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة ، أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء أكانت عن

(١) في الأدب الجاهلي ٩٥/ ط دار المعارف/ ١٩٧٧م .

(٢) النشر ١/ ١٣ .

السبعة أم عمن هو أكبر منهم ، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف»[(١)] .

فانظر إلى اشتراطهم : صحة السند ، وهو الركن الأهم ، الذي عليه قبول القراءة : يقول ابن الجزري : «وأئمة القراء لا تحمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل والرواية ، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ، ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة ، يلزم قبولها ، والمصير إليها»[(٢)] .

ب ـ أما الخلاف الذي يتخذه الدكتور ، فليس خلافًا يصل إلى حد الاتهام والإنكار ، وإنما هو كما يقول ابن الجزري : «الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوع وتغاير ، لا اختلاف تضاد وتناقض ، فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء :٨٢] .

كما أن الخلاف بين القراء ليس إلا من قبيل الاختيار ، يقول ابن الجزري : «ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم ، إنما هو من حيث إنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراءً به ، وملازمةً له ، وميلًا إليه ، لا غير ذلك ، وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم بالمراد بها أن ذلك القارئ ، وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به ، فآثره على غيره ، وداوم

(١) السابق ١/ ٩ .

(٢) النشر ١/ ١٠، ١١ .

عليه، ولزمه، حتى اشتُهر وعُرف به، وقُصد فيه، وأُخذ عنه، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء، وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد»[1]. لهذا وغيره لا يمكن أن تكون اللهجات مصدر القراءات لا الوحي ـ كما زعم، اللهم إلا إذا قصد الدكتور أن اللهجات كانت سببًا في السعة والرحمة، فتكون القراءات مظهرًا من مظاهر اختلاف اللهجات)[2]. ولكن يبقى قوله: (والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحي في قليل ولا كثير) وقد رد عليه.

٣ ـ اتحاد القبيلة واختلاف القراءة:

اختلاف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم ﷺ وهما من قبيلة واحدة، يقول ابن الجزري: (فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان ـ كما ثبت في الصحيح ـ وكلاهما قرشيان من لغة واحدة وقبيلة واحدة)[3].

* وسنذكر هذه الملاحظة ـ والتعليق عليه ـ فيما بعد.

٤ ـ آراء العلماء في الحديث:

الحديث لم يفسر المراد بالسبعة أحرف، هل المقصود بها أصوات أو أحكام أو لهجات، أو غير ذلك؟ مما أدى إلى كثرة الآراء، وتنوع الأقوال. وتعدد التفسيرات تجاه هذا الحديث.

---

(١) النشر ١/ ٥٢.

(٢) في الأدب الجاهلي ٩٦.

(٣) النشر ١/ ٢٤.




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

ثالثا : بعض الآراء التي فسرت الحديث

تعددت الآراء بصدد هذا الحديث ، وكان وراء هذا التعدد وأساس هذا الخلاف ، كما قال ابن العربي [٥٤٣هـ] : (لم يأت في معنى هذه السبع نص ولا أثر ، واختلف الناس في تعيينها)(١) . ولذلك نجد التفسيرات قد بلغت خمسة وثلاثين ، يقول ابن حجر [ت٨٥٢هـ] : (وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على أقوال كثيرة ، بلغها أبو حاتم بن حبان [ت ٣٥٤هـ] إلى خمسة وثلاثين قولا](٢) . والسيوطي [ت٩١١هـ] أوصلها إلى نحو أربعين قولًا)(٣) .

* وسنذكر ـ هنا ـ بإذن الله ـ تعالى ـ بعض الآراء التي فسرت الحديث ، مع مناقشتها ، والتعليق عليها :

الرأي الأول :

تفسير الأحرف السبعة مشكل وصعب ، يقول الزركشي [ت ٧٩٤هـ] : «إنه من المشكل الذي لا يدري معناه ، لأن العرب تسمى الكلمة المنظوقة حرفًا ، وتسمى القصيدة بأسرها كلمة ، والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة ، والحرف ـ أيضًا ـ المعنى والجهة ، قاله أبو جعفر :

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٢١٢/ تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار التراث/ ط٣/ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

(٢) فتح الباري ١٩/ ٣١ ، والبرهان ١/ ٢١٢ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٣١ ، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم/ مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ـ القاهرة/ ط١/ ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

محمد بن سعدان النحوي» [ت ٢٣١هـ][(١)] .

ويقول الأستاذ/ عبد الحميد أحمد شحاتة العدوي : (القول الأول : إن هذا الحديث من المشكل الذي لا يدري معناه ـ لأن الحرف مشترك لفظي ، ولم يرد نص بتحديد المراد منه ، فيبقى مشكلًا)[(٢)] .

ولكن رد هذا الرأي بأن (كثيرًا من الصحابة ، كابن مسعود ، وأنس ، وابن عباس ، وردت عنهم آراء فيه ـ ولو كانوا يرون أنه مشكل ما تكلموا فيه ـ ونحن مطالبون بالاجتهاد بقدر ما تطيق عقولنا ، وبالله الهدى ، وعليه قصد السبيل)[(٣)] .

الرأي الثاني :

الأحرف السبعة المذكورة في الحديث ، هي سبعة معاني مختلفة ، كالوعد والوعيد ، والمحكم والمتشابه ، والحلال والحرام ، والقصص ، والأمثال ، والأمر ، والنهي . وقد وضحه الزركشي بقوله : (سبعة أنواع : كل نوع منها جزء من أجزاء القرآن ، بخلاف غيره من أنحائه ، فبعضها أمر ونهي ، ووعد ووعيد ، وقصص ، وحلال حرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال وغيره)[(٤)] .

وربما اعتمد أصحاب هذا الرأي على الحديث الذي ذكره الطبري

---

(١) البرهان ١/ ٢١٣ ، والإتقان ١/ ١٣١ .

(٢) حسن البيان في توضيح سبعة أحرف أنزل عليها القرآن ٢٨/ مطبعة الأمانة/ ط١/ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

(٣) حديث نزول القرآن على سبعة أحرف دراسة تحليلية . د/ محمد حسن جبل ٢٤/ ط التركي/ دون تاريخ .

(٤) البرهان ١/ ٢١٦ ، وجامع البيان ١/ ٢٣ ، وما بعدها وصحيح مسلم ٦/ ١٠ .

[ت ٣١٠هـ] عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : «كَانَ الكِتَابُ الأَوَّلُ نَزَلَ مِن بَابٍ وَاحِدٍ ، وَعَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ : زَجْرٍ ، وَأَمْرٍ ، وَحَلاَلٍ وَحَرام ، وَمُحْكَمٍ ، وَمُتَشَابِهٍ ، وَأَمْثَالٍ ، فَأَحِلُّوا حَلاَلَهُ ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ ، وَافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ ، وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيتُمْ عَنْهُ ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ ، وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ وقولوا : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[آل عمران:٧] »[١] .

*** وردُّ هذا الرأي من جهتين :**

الأولى : موقف العلماء من حديث ابن مسعود ﷺ لقد كان للعلماء إزاء هذا البحث ثلاثةُ مواقف :

الأول : الضعف :

يقول : ابن عبد البر [ت٤٦٣هـ] : (هذا حديث لم يثبت ، لأنه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن [ت ٩٤ أو ١٠٤هـ] عن ابن مسعود ، ولم يلق ابن مسعود)[٢] . وذكر الزركشي بعض كلام ابن عبد البر ، ويزيد عليه قوله : (وهو مجمع على ضعفه)[٣] .

الثاني : الرد والرفض :

ولقد قابل بعض العلماء الحديث برده ، يقول ابن عبد البر : (وقد رده قوم

---

(١) جامع البيان١/ ٢٣ ، وكتاب فضائل القرآن [موقوفًا] النسائي ، باب من كم أبواب نزل القرآن ١/ ٦٢ وحديث رقم ٩ ، تح د/ فاروق حمادة/ دار إحياء الكتب العلمية ـ بيروت/ ط٢/ ١٤١٣هـ .

(٢) فتح الباري ١٩/ ٣٥ .

(٣) البرهان ١/ ٢١٦ .

من أهل النظر، منهم أبو جعفر: أحمد بن أبي عمران [ت ٢٨٠هـ][١]. ويبين الزركشي سبب هذا الرد بقوله: (قال ـ أي السابق ذكره في نص ابن عبد البر: من أوَّله بهذا فهو فاسد، لأنه محال أن يكون الحرف منها حرامًا لا ما سواه، أو يكون حلالًا لا ما سواه، لأنه لا يجوز أن يكون القرآنُ يقرأ على أنه حلال كله، أو حرام كله، أو أمثال كله، حكاه الطحاوي [أبو جعفر أحمد بن محمد ابن سلامة الأزدي المصري ت ٣٢١هـ] عنه أنه سمعه منه)[٢].

الثالث: الصحة:

وقال قوم بصحة الحديث، يقول ابن عبد البر: «وقد صحح الحديث المذكور ابن حبان[٣] والحاكم[٤] [ت٣٦٠هـ] وقد أخرجه البيهقي [ت ٤٥٨هـ] من وجه آخر، عن الزهري [ت ١٢٤هـ] عن أبي سلمة مرسلًا، وقال: هذا الحديث مرسل جيد»[٥].

* وقد فسره العلماء ـ على القول بصحته ـ بعدة تفسيرات، تُخرجه عن موطن الاستشهاد به ـ هنا.

---

(١) فتح الباري ١٩/ ٣٥.

(٢) البرهان ١/ ٢١٦.

(٣) ابن حبان في الصحيح: كتاب الرقائق: باب قراءة القرآن ٣/ ٢٠ حديث رقم ٧٤٥ تح/ شعيب الأرنؤوط/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

(٤) الحاكم في المستدرك: كتاب فضائل القرآن ١/ ٧٣٩ حديث رقم ٢٠٣١، وفي كتاب التفسير ـ باب: تفسير سورة آل عمران ٢/ ٣١٧ حديث رقم ٣١٤٤، وقال: [صحيح الإسناد ولم يخرجاه] تح/ مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب/ بيروت/ ط ١/ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٠م.

(٥) فتح الباري ١٩/ ٣٥.

١ ـ التفسير الأول :

المراد بالأحرف : الأوجه ، يقول البيهقي : (إن صح ، فمعنى قوله : «سبعة أحرف» أي سبعة أوجه ، كما فسرت في الحديث ، وليس المراد الأحرف السبعة التي تقدم ذكرها في الأحاديث الأخرى ، لأن سياق تلك الأحاديث يأتي حملها على هذا ، بل هي ظاهرة في أن المراد أن الكلمة الواحدة تقرأ على وجهين ، وثلاثة أوجه ، وأربعة إلى سبعة ، تهوينًا وتيسيرًا ، والشيء الواحد لا يكون حرامًا وحلالًا في حالة واحدة)(١) .ويقول القاضي أبو بكر ابن الطيب [الباقلاني ت ٤٠٣هـ] : (هذا التفسير منه ﷺ للأحرف السبعة ، ولكن ليست هذه التي أجاز لهم القراءة بها على اختلافها ، وإنما الحرف في هذه بمعنى الجهة والطريقة ، كقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾ (٢) [الحج :١١] ، وقال ابن عطية [ت٥٤٦هـ] : (هذا القول ضعيف ؛ لأن هذه لا تسمى أحرفًا)(٣) .

*** ورد ابن الجزري بردود ، منها :**

أحدها : أن السبعة غير السبعة الأحرف التي ذكرها النبي ﷺ في تلك الأحاديث ، وذلك من حيث فسرها في هذا الحديث ، فقال : حلال وحرام ، إلى آخره ، وأمر بتحليل حلاله ، وتحريم حرامه ، إلى آخره ، ثم أكد ذلك

---

(١) السابق ، والبرهان ١/ ٢١٧ .

(٢) البرهان ١/ ٢١٦ .

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٤٣/ تح . عبد السلام عبد الشافي محمد/ دار الكتب العلمية / بيروت/ لبنان/ ط١/ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

بالأمر بقول : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران :٧] فدل على أن هذه غير تلك القراءات)[1] .

٢ـ التفسير الثاني :

المراد بالأحرف الأبواب : قال أبو شامة [ت ٦٦٥هـ] : (يحتمل أن يكون التفسير المذكور للأبواب لا للأحرف ، أي هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه ، وأنزله الله على هذه الأصناف ، لم يقتصر منها على صنف واحد ، كغيره من الكتب)[2] .

ومن ضمن ردود ابن الجزري ، قوله : (الثاني : أن السبعة أحرف في هذا الحديث ، هي هذه المذكورة في الأحاديث الأخرى التي هي الوجه والقراءات ويكون قوله : حلال وحرام ، إلى آخره تفسير للسبعة أبواب ـ والله أعلم)[3] .

٣ـ التفسير الثالث :

انفكاك الجهة الإعرابية ، بمعنى أن جملة (زجر وأمر) إلخ ، ليس لها تعلق بما قبلها ، وقد نص العلماء على ذلك ، يقول ابن حجر : (وقال أبو علي الأهوازي [ت٤٤٦هـ] ، وأبو العلاء الهمزاني : [ت٥٦٩هـ] : قوله : (زاجر وآمر ، استئناف كلام آخر ، أي هو زاجرًا ، أي القرآن ، ولم يرد به تفسير

---

(١) النشر ١/ ٢٥ .

(٢) فتح الباري ١٩/ ٣٥ .

(٣) النشر ١/ ٢٥ .

الأحرف السبعة ، وإنما توهم ذلك من توهمه من جهة الاتفاق في العدد ، ويؤيده أنه جاء في بعض طرقه : (زاجرًا وآمرًا بالنصب)[1] ، ويقول ابن الجزري في رده الثالث : (أن يكون قوله : « حلال وحرام ... » ، إلى آخره ، لا تعلق له بالسبعة الأحرف ، ولا بالسبعة أبواب ، بل إخبار عن القرآن ، أي هو كذا وكذا)[2] .

* والذي يدل على ضعف الحديث : الأخبار التي رواها الطبري[3] . عن ابن مسعود ﷺ والتي منها :

أ ـ قَدْ سَمِعْتُ الْقُرَّاءَ فَوَجَدْتُهُمْ مُتَقَارِبِينَ ، فَاقْرَؤُوا كَمَا عَلِمْتُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّع ، فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ : هَلُمَّ وَتَعَالَ .

ب ـ مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ عَلَى حَرْفٍ فَلاَ يَتَحَوَّلَنّ ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ الله لأَتَيْتُهُ .

ويعلق الطبري ، فيقول : «فمعلوم أن عبد الله لم يعنِ بقوله هذا : من قرأ ما في القرآن ، من الأمر والنهي ، فلا يتحولن منه إلى قراءة ما فيه من الوعد والوعيد ، ومن قرأ ما فيه من الوعد والوعيد ، فلا يتحولن منه إلى قراءة ما فيه من القصص والمثل ، وإنما عنى ـ رحمة الله عليه ـ أن من قرأ بحرفه ، وحرفه قراءته ، وكذلك تقول العرب : لقراءة رجل : حرف» .

ج ـ قول ابن مسعود ﷺ في النص الأول : (فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ : هَلُمَّ

---

(١) فتح الباري ١٩/ ٣٥ .

(٢) النشر ١/ ٢٥ .

(٣) انظر جامع البيان ١/ ١٧ ، ١٨ .

وَتَعَالَى) قد طبقه بالفعل في قراءته، فقد روى الطبري: (وفي قراءتنا: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً﴾ [يس: ٢٩، ٥٣] وفي قراءة ابن مسعود: ﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ زَقْيَةً وَاحِدَةً﴾.

فهذا يدل دلالة واضحة على أن المراد بالأحرف السبعة ومجالها: الألفاظ، وليست الأحكام.

الثانية: إجماع العلماء على منع وضع آية مكان آية، وإليك بعض نصوصهم في ذلك:

١ ـ يقول الماوردي [ت ٤٥٠ هـ]: (وأما قول من قال: (المراد سبعة معاني مختلفة، كالأحكام والأمثال، والقصص، فخطأ، لأنه ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف، وإبدال حرف بحرف، وقد تقرر إجماع المسلمين أنه يحرم إبدال آية مثال بآية أحكام) وأثار اعتراضًا، وهو: (فإن قيل: ليس المراد إبدال آيات، بل إبدال خواتيم الآي، فيجعل مكان غفور: رحيم، ومكان سميع: بصير) وقد رد الماوردي على هذا الاعتراض بقوله: (وقول من قال: المراد خواتيم الآي، فيجعل مكان غفور: رحيمًا، وسميع، بصيرًا، فاسد ـ أيضا ـ للإجماع على منع تغيير القرآن للناس)[1].

٢ ـ ويقول ابن عطية: (فالإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا تحليل حرام، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة)[2].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ١٠٠، والبرهان ١/ ٢١٧.

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٤٣، والبرهان ١/ ٢١٦، ٢١٧.

٣ ـ ويقول ابن الجزري ، بعد أن سرد هذا الرأي : (وهذه الأقوال غير صحيحة ، فإن الصحابة الذين اختلفوا وترافعوا إلى النبي ﷺ كما ثبت في حديث عمر ، وهشام ، وأُبيٍّ ، وابن مسعود ، وعمرو بن العاص ، وغيرهم ، ولم يختلفوا في تفسيره ، ولا أحكامه ، وإنما اختلفوا في قراءة حروفه)(١) .

٤ ـ وينفذ الطبري من خلال حديث رسول الله ﷺ : «اقْرَأ القُرآنَ عَلَى حَرْفٍ ، قَالَ مِيكَائِيلُ ؈ : اسْتَزِدْهُ ، فَقَالَ : عَلَى حَرْفَيْنِ حَتَى بَلَغَ سِتَة أَوْ سَبْعَة أَحْرُفٍ ، فَقَالَ : كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ ، مَا لَمْ تُخْتَمْ آيَةُ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ ، أَوْ آيَة رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ ، كَقَوْلِكَ : هَلُم وَتَعَالَ» إلى القول : فقد أوضح نص هذا الحديث أن اختلاف الأحرف السبعة إنما هو اختلاف ألفاظ ، كقولك : هلم وتعال ، باتفاق المعاني ، لا باختلاف معاني موجبة اختلاف أحكام ، ويمثل الذي قلنا في ذلك ، صحت الأخبار عن جماعة من السلف والخلف)(٢) .

٥ ـ ويقول د/ جبل : «إن النبي ﷺ صوب قراءات جميع الذين اختلفوا في القراءة واحتكموا إليه ، ولو كان الاختلاف في المعاني «الزجر والأمر والحلال والحرام . . إلخ» لكان مستحيلًا أن يصوب النبي قراءة كل منهم ، للتناقض بين من يحلل ومن يحرم الشيء نفسه ، مثلًا ، وجاء في عدة روايات أن من قرأ بحرف فلا يتحولن منه إلى غيره ، ولو كان المراد بالحروف المعاني ، لكان معنى عدم التحول هو أن من قرأ ما في القرآن من الأمر والنهي مثلا فليس له أن يتحول عنه إلى ما فيه من الوعد والوعيد ، ثم إن الأمة تُخيَّر في

---

(١) النشر ١/ ٢٥ .

(٢) جامع البيان ١/ ١٧ .

الأخذ بأي حرف منها أي مع الاكتفاء به عن سائرها، ولو كانت الحروف هي تلك المعاني لكان معنى ذلك أن تختار الأمة جزءًا من الدين وتترك سائره)[١].

الرأي الثالث:

المراد بالأحرف السبعة قراءات سبع، حكى ذلك عن الخليل بن أحمد [ت ١٧٥هـ][٢]. وصرح به محمد بن سليمان العجيلي، المشهور بالجمل [ت ١٢٠٤هـ] في عبارته: (واختلفوا في المراد بالسبعة أحرف، على أقوال، والصحيح منها أن المراد بها: القراءات السبع، لأنها التي ظهرت واستفاضت عن النبي ﷺ وضبطها عنه الصحابة، واقتبسها عثمان والجامعة في المصاحف، وأخبروا بصحتها، وحذفوا منها ما لم يثبت متواترًا، وأن هذه الحرف مختلف معانيها تارة، وألفاظها أخرى، وليست متضادة ولا متباينة)[٣].

* واختُلف في تعيين أصحاب القراءات السبع، على قولين:

القول الأول:

هم من الصحابة ﷺ أبو بكر [ت١٣هـ]، وعمر، وعثمان، وعلي [ت٤٠هـ] وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبي بن كعب[٤].

---

(١) حديث نزول القرآن ٢١.

(٢) البرهان ١/ ٢١٤، جاء في العين ٣/ ٢١١: [حرف] [وكل كلمة تقرأ على وجوه في القرآن تسمى حرفًا، يقال: يقرأ هذا الحرف في حرف ابن مسعود أي في قراءته] تح. د/ مهدي المخزومي، ود/ إبراهيم السامرائي/ دار الرشيد/ العراق/ ١٩٨١م.

(٣) الفتوحات الإلهية ١/ ١٠، ١١/ دار الفكر/ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

(٤) الإتقان ١/ ١٤٠.

القول الثاني :

هم من التابعين ﷺ وهم ابن عامر [ت ١١٨ هـ] وابن كثير [١٢٠ هـ] وعاصم [ت١٢٧ هـ] وأبو عمرو بن العلاء [ت ١٥٤ هـ] وحمزة [ت١٥٦ هـ] ونافع [ت ١٦٩ هـ] والكسائي [ت١٨٩ هـ] .

يقول أبو شامة : (الإمام أبو بكر أحمد بن العباس مجاهد [ت ٣٢٤هـ] : أول من اقتصر على هؤلاء السبعة ، فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين ، والعراقين ، والشام ، إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره ، والحديث والفقه في الأعمال الباطنة والظاهرة ، فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار ، ليكون ذلك موافقًا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن ، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن هؤلاء السبعة المعنيين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم)(١) .

*** ولعل أصحاب هذا الرأي اعتمدوا على ما يلي :**

١ ـ كثرة استعمال الحرف بمعنى القراءة ، يقال : قرأ بحرف نافع ، وبحرف ابن كثير ، وكذلك دوران لفظ القراءة ومشتقاته بالحديث ، منها قرأ هشام ، قرأ عمر ، أقرأني جبريل ، اقرؤوا كما علمتم .

٢ ـ اشتراك لفظ سبعة في الحديث والقراءات .

٣ ـ المصاحف التي أرسلها عثمان ﷺ إلى الأمصار كانت سبعة ، وهي :

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي لأبي شامة ٢٢/ تح : إبراهيم عطوة عوض / مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة/ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

(فوجه بمصحف إلى البصرة، ومصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى الشام، وترك مصحفًا بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفًا، الذي يقال له: الإمام، ووجه بمصحف إلى مكة، وبمصحف إلى اليمن، وبمصحف إلى البحرين)[1].

* وردَّ على هذا الرأي بما يلي:

١ ـ القول بأنها قراءات سبع لسبع من الصحابة ـ رضوان الله عنهم جميعًا ـ (لا يبدو له وجه، فإن أكثر الخلفاء إقراء هم: عثمان، وعلي، ثم عمر، والإسناد إلى أبي بكر ﷺ عزيز، ثم هناك زيد بن ثابت [ت ٤٥ هـ]، ثم إن قراءة أي من هؤلاء لم تتميز في القراءة الباقية المجمع عليها وتركت الحروف التي لم يجمع عليها من حروف هؤلاء وغيرهم)[2].

٢ ـ القول بأنهم نافع ومن معه، يجيب عنه ابن الجزري بقوله: «وأنت ترى ما في هذا القول، فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهورًا في الأعصار الأول قل من كثر ونزر من بحر، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين، وذلك أن القراء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة وغيرهم، كانوا أممًا لا تحصى، وطوائف لا تستقصى، والذين أخذوا عنهم ـ أيضًا ـ أكثر، وهلم جرًّا»[3].

ويحكى ابن الجزري عن أبي محمد مكي [ت ٤٣٧هـ]، قوله: [وقد ذكر

---

(١) النشر ١/ ٧، والبرهان ١/ ٣٢٩.

(٢) حديث نزول القرآن ٢٤.

(٣) النشر ١/ ٣٣.

الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ، ممن هو أعلى رتبة وأجل قدرًا من هؤلاء السبعة)[(١)] .

وأيضًا ، فإن صنيع العلماء ، وهم يكتبون في القراءات ، فقد اختلف اختيارهم للقراء ، فهذا أبو عبيدة [ت ٢١٠هـ] يذكر خمسة عشر رجلًا من القراء لم يذكر فيهم من السبعة حمزة ولا الكسائي[(٢)] . وذكر أبو حاتم [السجستاني ت ٢٥٥هـ] زيادة على عشرين رجلًا ، ولم يذكر فيهم ابن عامر ولا حمزة ولا الكسائي[(٣)] .

وجاء عند الزركشي : «ولا يتوهم أن قوله ﷺ : «**أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**» انصرافه إلى قراءة سبعة من القراء يولدون من بعد عصر الصحابة بسنين كثيرة ، لأنه يؤدي إلى أن يكون الخبر متعريًا عن فائدة إلى أن يحدثوا ، ويؤدي إلى أنه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرؤوا «إلا بما علموا أن السبعة من القراء يختارونه»[(٤)] .

٣ ـ والاستشهاد الأول ـ إن صح ـ فإنه لا يعني القراءات السبع المشهورة اليوم ؛ وذلك لما يلي :

أ ـ إجماع العلماء على جزئية القراءات السبع من كلية الأحرف السبعة ، يقول أبو شامة : (وقد اختلف السلف في الأحرف التي نزل بها القرآن ، هل هي مجموعة في المصحف الذي بأيدي الناس اليوم أو ليس فيه إلا حرف

---

(١) السابق ١/ ٣٧ .

(٢) فتح الباري ١٩/ ٣٨ .

(٣) السابق .

(٤) البرهان ١/ ٣٣٠ .

واحد منها)؟

مال ابن الباقلاني إلى الأول، وصرح الطبري وجماعة بالثاني، وهو المعتمد، وقد أخرج ابن أبي داود (السجستاني ت ٣١٦هـ) في المصاحف، عن أبي الطاهر بن أبي السرح [ت ٢٠٥هـ]، قال: سألت ابن عيينة [سفيان ت١٩٨هـ] عن اختلاف قراءة المدنيين والعراقيين، هل هي الحرف السبعة؟ قال: لا، وإنما الأحرف السبعة، مثل: هلمَّ وتعالَ وأقبل، أي ذلك، قلت: أجزاك... وقرر الطبري ذلك تقريرًا... ووافقه على ذلك جماعة، منهم: أبو العباس بن عمار [المهدوي ت ٤٣٠هـ] في شرح الهداية[1]، وقال: أصح ما عليه الحذاق أن الذي يقرأ الآن بعض الحروف السبعة المأذون في قراءتها لا كلها... وقال مكي بن أبي طالب [القيسي]: هذه القراءات التي يقرأ بها اليوم، وصحت روايتها عن الأئمة جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن... قال: وأما من ظن أن قراءة هؤلاء القراء، كنافع، وعاصم، هي الأحرف السبعة التي في الحديث، فقد غلط غلطًا عظيمًا، قال: ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة غيرهم، ووافق خط المصحف ألَّا يكون قرآنًا، وهذا غلط عظيم، فإن الذين صنفوا القراءات من الأئمة المتقدمين، كأبي عبيد القاسم بن سلام [ت ٢٢٤هـ] وأبي حاتم السجستاني، وأبي جعفر الطبري، وإسماعيل بن إسحاق [المالكي ت ٣١٠هـ] والقاضي وقد ذكروا أضعاف هؤلاء[2].

ب ـ تمييز القراءات السبع تأليفًا في القرن الأربعمائة، أما ما قبل ذلك

---

(١) في القراءات السبع وهو شرح على كتاب الهداية للمؤلف نفسه.

(٢) فتح الباري ١٩/ ٣٦، ٣٧.

فكانت مختلطة بغيرها ، يقول ابن الجزري : (وتفسير الحديث بهذه القراءات السبع ، خطأ فاحش ، وجهل من قائله ، ولم تكن القراءات السبع متميزة عن غيرها إلا في القرن الأربعمائة ، جمعها أبو بكر بن مجاهد)[١] .

٤ ـ وأما لفظ «سبع» الذي اشترك في القراءات والحديث ، فيجاب عنه بالآتي :

أ ـ هذا مخالف لإجماع العلماء ، يقول أبو شامة : (ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة ـ الآن ـ هي التي أريدت في الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل)[٢] .

ب ـ تأليف العلماء للقراءات ، كان تأليف العلماء في القراءات على نحوين :
النحو الأول : الزيادة على السبعة ، من ذلك :

ـ ألف أبو عبيدة كتابًا في القراءات ، وذكر فيه خمسة عشر رجلًا[٣] .

ـ وألف أبو حاتم السجستاني كتابًا في القراءات ، وذكر فيه زيادة على عشرين رجلًا[٤] .

ـ وذكر الطبري اثنين وعشرين رجلا[٥] .

---

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين ١٢٧/ تح د/ عبد الحي الفرماوي/ مكتبة مصر/ ط١/ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ، والبرهان ١/ ٢٢٧ .

(٢) فتح الباري ١٩/ ٣٧ .

(٣) السابق ١٩/ ٣٨ .

(٤) السابق .

(٥) السابق .

- وألف غيره - أي غير ابن جبير [ت ٢٥٨هـ] كتابًا وسماه الثمانية، وزاد على هؤلاء السبعة: يعقوب الحضرمي(١) [ت ٢٠٥هـ] وقد صرح في بعض المواطن أنه ابن جبير(٢).

- وألف ابن الجزري كتابًا، وسماه النشر في القراءات العشر، فذكر السبعة وزاد أبا جعفر [ت ١٣٠هـ]، ويعقوب، وخلفًا [ت ٢٢٩هـ].

- وألف البنا الدمياطي [١١١٧هـ] كتابًا أسماه إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، فذكر من ذكرهم ابن الجزري، وزاد: ابن محيصن [ت ١٢٣هـ] واليزيدي [١٠٢هـ] والحسن البصري [ت ١١٠هـ] والأعمش [ت ١٤٨هـ].

النحو الثاني: الاقتصار على خمسة قراء - فقط - وكان هذا صنيع ابن جبير، يقول الزركشي: (وقد ألف ابن جبير المقرئ - وكان قبل ابن مجاهد - كتابًا في القراءات، وسماه كتاب الخمسة، وذكر فيه خمسة من القراء لا غير(٣).

ويبين ابن حجر علة اقتصار ابن جبير على خمسة - قراء - فقط - فيقول: (وإنما اقتصر على ذلك لأن المصاحف التي أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار)(٤).

---

(١) البرهان ١/ ٣٢٩.

(٢) إتحاف فضلاء البشر: التحقيق ٣٦ تح د/ شعبان محمد إسماعيل/ مكتبة الكليات الأزهرية/ ط/ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٣) البرهان ١/ ٣٢٩.

(٤) فتح الباري ١٩/ ٣٨.

* ففي هذين النحوين ـ من صنيع العلماء ـ دلالة واضحة ، على أنه ليس لفظ «سبع» الحديث هو لفظ «سبع» القراءات ، وهذا اعتقاد الناس ، بل موقف عالم واحد ، لأن ابن جبير كان له في الزيادة كتاب ، وفي النقصان كتاب .

ولذلك يقول الكواشي [ت ٦٨٠هـ] : (كل ما صح سنده ، واستقام مع جهة العربية ، ووافق لفظه خط المصحف الإمام ، فهو من السبع المنصوص عليها ، ولو رواه سبعون ألفًا مجتمعين أو متفرقين ، فعلى هذا الأصل يبني من يقول : القراءات عن سبعة كان أو سبعة آلاف)(١) .

٥ ـ ويرد على أن المصاحف المرسلة من قبل عثمان ﷺ كانت سبعة ، بأنه دليل تطرق إليه الاحتمال ، لأنه قد سبق عن ابن جبير الاقتصار على خمسة قراء ، لأن الجهات المرسل إليها كانت خمسة ، ويقول ابن حجر عن مصحف البحرين ، ومصحف اليمن : (ولم نسمع لهذين المصحفين خبرًا ، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف ، فاستبدلوا من غير البحرين واليمن قارئين ، يكمل بهما العدد ، فصادف ذلك موافقة للعدد الذي ورد الخبر به ، وهو أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فوقع ذلك لمن لم يعرف أصل المسألة ، ولم يكن له فطنة)(٢) .

الرأي الرابع :

ذكره الزركشي بقوله : (إن ذلك راجع إلى بعض الآيات ، مثل قوله : ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ [الأنبياء :٦٧] فهذا على سبعة أوجه ، بالنصب والجر والرفع ،

---

(١) البرهان ١/ ٣٣١ .

(٢) فتح الباري ١٩/ ٣٨ .

وكل وجه : التنوين وغيره ، وسابعها الجزم ، مثل قوله : ﴿ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ ﴾ [مريم :٢٥] ونحوه [(١)] .

ورد هذا الرأي بما يلي :

١ ـ قلة الكلمات التي تقرأ على سبعة أوجه في القرآن الكريم ، يقول ابن عبد البر : (لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا الشيء القليل ، مثل : ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [المائدة : ٦٠] [(٢)] . وإذا كان ابن عبد البر قد أقر بقلة الكلمات في القرآن الكريم التي تقرأ على سبعة أوجه ، فإن ابن قتيبة قد أنكر ذلك ـ تمامًا ، في قوله : (وليس يوجد في كتاب الله ـ تعالى ـ حرف قرئ على سبعة أوجه ـ يصح ـ فيما أعلم) [(٣)] ورد عليه ابن الأنباري [ت ٣٢٨هـ] بمثل :

﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [المائدة : ٦٠] ، ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء :٢٣] ، ﴿ وَجِبْرِيلَ ﴾ [(٤)] [البقرة :٩٨]

* والحق مع ابن الأنباري وابن عبد البر في أن ذلك موجود في القرآن لكنه بقلة ، ويعذر ابن قتيبة في إنكار ذلك لأنه لا يبلغه .

وإليك بيان للقراءات في نموذج مما استشهد به ، فكلمة «أف» من قوله : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء :٢٣] يقول أبو حيان [ت ٧٤٥هـ] : (وقرأ الحسن

---

(١) البرهان ١/ ٢٢٣ .

(٢) فتح الباري ١٩/ ٣٢ ، والبرهان ١/ ٢٢٣ .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٣٤/ تح السيد صقر/ دار التراث/ ط٢/ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

(٤) فتح الباري ١٩/ ٣٢ .

والأعرج [ت ١٣٠هـ] وأبو جعفر، وشيبة [ت ١٣٠هـ] وعيسى [بن عمر الثقفي ت ١٥٠هـ]، ونافع وحفص [ت ١٨٠هـ] أُفٍّ بالكسر والتشديد مع التنوين، وقرأ ابن كثير وابن عامر بفتحها مشددة من غير تنوين، وحكى هارون [الأعور ت قبل ٢٠٠هـ] قراءة بالرفع والتنوين، وقرأ أبو السمال «أُفُّ» بضم الفاء من غير تنوين، وقرأ زيد بن علي [ت ١٢٢هـ] «أفًّا» بالنصب والتشديد والتنوين، وقرأ ابن عباس « أف » خفيفة)[1].

وقلة الكلمات يعني أن هناك كلمات تقرأ على أوجه أقل من سبعة أحرف أو أكثر بل أن كلمة « أف » التي معنا زادت على السبعة أوجه حتى بلغت إلى عشرة، كما ذكر ابن منظور [ت ٧١١هـ][2].

٢ ـ يمكن توجيه هذه الأوجه بأنها من اللهجات، يقول أبو حيان بعد أن ساق القراءات في نصه السابق: (فهذه سبع قراءات من اللغات التي حكيت في «أف»[3].

ويقول ابن منظور: [وقد جمع جمال الدين بن مالك [ت ٦٧٢هـ] هذه العشر لغات في بيت واحد، وهو قوله:

فَأُفَّ ثَلِّثْ وَنَوِّنْ إِنْ أَرَدْتَ وَقُلْ أُفِّي وَأُفِّي وَأُفْ وَأُفَّة تُصِبِ[4]

٣ ـ إذا فسر الحديث بهذه الوجوه النحوية القليلة، فماذا نقول في بقية

(١) البحر المحيط ٦/ ٢٧/ دار الفكر/ ط٢/ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٢) اللسان ١/ ٩٥ [أفف] دار المعارف.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٢٧.

(٤) اللسان ١/ ٩٥ [أفف].

اختلاف القراءات القرآنية من أصوات وبنية وتراكيب ودلالة ، إلى غير ذلك ، وقد وقع ذلك كثيرًا ؟ فهذا يقتضي أن سياق الحديث يبعد عن هذا التفسير ، لأن القراءات تعدت إلى جُل الآيات في جميع المستويات اللغوية .

٤ ـ إذا فسرتم الحديث بالتخصص الإعرابي ، فلا مانع من إرادة التخصصات الأخرى ، ولذلك وجدنا للقراء رأيًا في تفسير الحديث يقولون : (أنها ـ أي السبعةِ أحرف ـ من طريق التلاوة وكيفية النطق بها ، من إظهارٍ وإدغام ، وتفخيم وترقيق ، وإمالة وإشباع ، ومد وقصر ، وتخفيف ، وتليين ، وتشديد)[1] .

* كما نجد للفقهاء : رأيًا يقولون فيه : (المراد به سبعة أشياء المطلق والمقيد ، والعام والخاص ، والنص والمُؤوَل ، والناسخ والمنسوخ ، والمجمل والمفسر ، والاستثناء ، وأقسامه ، حكاه أبو المعالي [شيذلة ت ٤٩٤هـ] بسند له عن أئمة الفقهاء)[2] .

ونجد آراء أخرى ، بأن المراد منها علم القرآن يشتمل على سبعة أشياء ، ولأهل اللغة ، ولأصحاب التصوف ، وزيادة توضيح من أهل النحو[3] .

وكلها أقوال يشبه بعضها بعضًا ، ثم نتساءل : هل التخصص كان أيام نزول القرآن على سبعة أحرف ؟! وهل في هذه العلوم والتخصصات توسعة على الناس ؟ وأي حكمة تكون من وراء جعل السبعة الأحرف علم البلاغة أو علم النحو أو علم اللغة أو علم التصوف أو أي علم آخر ؟! ولذلك

---

(١) البرهان ١/ ٢٢٦ .

(٢) البرهان ١/ ٢٢٥ .

(٣) السابق ١/ ٢٢٤ وما بعدها .

وجدنا من القدماء والمعاصرين من يرفض مثل هذه الآراء ، فهذا ابن حبان يقول : (فهذه خمسة وثلاثون قولًا لأهل العلم واللغة في معنى إنزال الحديث على سبعة أحرف :

وهي أقاويل يشبه بعضها بعضًا ، وكلها محتملة ، وتحتمل غيرها ، وقال المرسي [شرف الدين محمد بن عبد الله السلمي ت ٥٦٥هـ] : هذه الوجوه أكثرها متداخلة ، ولا أدري مستندها ، ولا عمن نقلت ، ولا أدري لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكره مع أنها كلها موجودة في القرآن فلا أرى معنًى للتخصص ، وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة ، وأكثرها يعارضه حديث عمر مع هشام بن حكيم الذي في الصحيح ، فإنهما لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه ، وإنما اختلفا في قراءة حروفه)[1] .

ويقول الدكتور / جبل : (فهي كلها تسبيعات من مصطلحات فنية متأخرة ، لولا حسن الظن بالمتقدمين والأدب معهم ، لقلنا : إنهم كانوا عابثين حين فسروا الحديث الشريف بهذه المصطلحات الفنية ، وإلا فما معنى أن يقال : إن المراد بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، هو الحذف والصلة ، والتقديم والتأخير ، والاستعارة والتكرار ، والكناية والحقيقة والمجاز ، والمجمل والمفسر ، والظاهر والغريب ، وحكى هذا القول عن أهل اللغة كذا ، إن القول بهذا يعني الكثير مما لا يمكن قبوله)[2] .

الرأي الخامس :

المراد بالأحرف السبعة أمهات اللهجات : الألف والباء ، والجيم ،

---

(١) الإتقان ١/ ١٤١ .

(٢) حديث نزول القرآن ١٩ .

والدال ، والراء ، والسين ، والعين ، لأن عليها تدور جوامع كلام العرب[١] .

وُردَّ هذا الرأي ، لأنه غريب ينقصه الدليل ، (فالقول بأن الأحرف السبعة هي أمهات حروف الهجاء (أبجد رسع) التي عليها تدور جوامع كلام العرب ، قول يبدو في صورة دعوى عريضة ، لا يبدو لها وجه مفهوم تقبل به)[٢] .

الرأي السادس :

حكاه الزركشي عن الطحاوي : أن ذلك خاص لضرورة دعت إليه ، لأن كل ذي لغة كان يشق عليه أن يتحول عن لغته ، ثم لما كثر الناس والكتاب ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم الأحرف السبعة ، وعاد ما يقرأ به إلى حرف واحد)[٣] .

*** وهذا الرأي تاريخي أكثر منه تقريري ، ولكن يفهم منه أمران :**

الأول : تفسير الأحرف باللهجات ، وهذا واضح في قوله : (لأن كل ذي لغة كان يشق عليه أن يتحول عن لغته) .

الثاني : عده من الردود التي يرد بها على المجوزين القراءة بالمرادف ـ الذي سيذكر بعد ـ أي أن القراءة بالمرادف كانت في زمن دعت إليه الضرورة ثم نسخ بزوال السبب .

الرأي السابع :

المراد بالسبعة أحرف : (سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ

---

(١) الإتقان ١/ ١٤٠ .

(٢) حديث نزول القرآن ٢٤ .

(٣) البرهان ١/ ٢٢٤ .

المختلفة ، نحو : أقبل ، وهلمَّ ، وتعالَ ، وعجل ، وأسرع ، وأَنْظِر ، وأَخِّر ، وأمهل ، ونحوه ، وكاللغات التي في ـ أف ـ ونحو ذلك ، قال ابن عبد البر : وعلى هذا القول أكثر أهل العلم ، وأنكروا على من قال : إنها لغات ، لأن العرب لا تركب لغة بعضها بعضًا ، ومحال أن يقرئ النبي ﷺ أحدًا بغير لغته ، وأسند عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ : ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾ [البقرة : ٢٠] «سعوا فيه»[(١)] .

قال : فهذا معنى السبعة الأحرف المذكورة في الأحاديث عند جمهور أهل الفقه والحديث ، منهم سفيان بن عيينة ، وابن وهب [الفهري المصري ت ١٩٧هـ] ومحمد بن جرير الطبري ، والطحاوي ، وغيرهم ، وفي مصحف عثمان الذي بأيدي الناس منها حرف واحد ، وقال الزهري : إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ، وليست تختلف في حلال ولا حرام[(٢)] .

*** ونلاحظ في نص ابن عبد البر ما يلي :**

١ ـ أكثر أهل العلم على تفسير الأحرف السبعة على أنها قراءات بالمرادف ، وَعَدَّ منهم :

أ ـ سفيان بن عُيينة ، وقد أوضح رأيه ابن حجر ، فقال : (أخرج ابن أبي داود في المصاحف عن أبي الطاهر بن أبي السرح ، قال : سألت ابن عيينة عن اختلاف قراءة المدنيين والعراقيين ، هل هي الأحرف السبعة ؟ قال : لا ، وإنما

---

(١) جاء في البحر المحيط ١/ ٩٠ (وفي مصحف أبيّ «مرُّوا فيه» وفي مصحف ابن مسعود «مضوا فيه» ونسب الزركشي «مروا فيه» بجانب أبي ابن مسعود . البرهان ١/ ٢٢١ .

(٢) البرهان ١/ ٢٢٠ ، ٢٢١ .

الأحرف السبعة، مثل: هلم، وتعال، وأقبل، أي ذلك قلت: أجزاك)[(١)] .

وقد استشهد بكلام ابن عيينة ـ من قبل ـ على منافاته أن تكون الأحرف السبعة هي القراءات السبع، ويستشهد به ـ هنا على أن المراد بها قراءات بالمرادف .

ب ـ ابن وهب ذكر الزركشي: (وذكر ابن وهب في كتاب الترغيب من جامعه قال: قيل لمالك [ابن أنس ت ١٥٠هـ]: أترى أن تقرأ مثل ما قرأ عمر ابن الخطاب ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾[(٢)]. قال: جائز، قال رسول الله ﷺ: «أُنزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ» ومثل: «يعلمون» و«تعلمون» قال مالك: لا أرى باختلافهم بأسًا، وقد كان الناس ولهم مصاحف، قال ابن وهب: سألت مالكًا عن مصحف عثمان، فقال لي: ذهب، وأخبرني مالك، قال: أقرأ عبد الله بن مسعود[(٣)] رجلًا: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤] فجعل الرجل يقول:

---

(١) فتح الباري ١٩/ ٣٦ .

(٢) ليست قراءة عمر بن الخطاب ﷺ وحده بل وردت أيضًا قراءة عن علي، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وابن عمر، وابن الزبير، وأبي العالية، والسلمي، ومسروق، وطاووس، وسالم بن عبد الله، وطلحة بخلاف، وقال أبو الفتح: في هذه القراءة تفسير للقراءة العامة ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ ﴾ أي اقصدوا وتوجهوا) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. لابن جني ٢/ ٣٢١، ٣٢٢/ تح علي النجدي ناصف وآخرين/ القاهرة/ ١٣٨٦هـ ـ ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .

(٣) وفي الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٢/ ٣٦٢، ٣٦٣، أن أبا الدرداء هو الذي كان يقرئ الرجل/ المطبعة البهية المصرية/ ط١/ ١٣٤٣هـ .

« طعام اليتيم » فقال : «طعام الفاجر » فقلت لمالك : أترى أن يقرأ بذلك ؟قال : نعم ، أرى أن ذلك واسعًا)[١] .

فلعل ذكر ابن وهب لرأي مالك يكون تعبيرًا عن رأيه ـ أيضًا .

ج ـ محمد بن جرير الطبري : ورأيه واضح في قوله : (بل الأحرف السبعة التي نزل الله بها القرآن هي لغات سبع في حرف واحد ، وكلمة واحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ، كقول القائل : هلم ، وأقبل ، وتعال ، وإليَّ ، وقصدي ، ونحوي ، وقربي ، ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق ، وتتفق فيه المعاني وإن اختلفت بالبيان به الألسن ، كالذي روينا آنفًا عن رسول الله ﷺ وعمن روينا ذلك عنه من الصحابة أن ذلك بمنزلة قولك : هلم ، تعال ، وأقبل ، وقوله : ﴿ ما ينظرون إلا زقية ﴾[٢] . و﴿ إِلاَّ صَيْحَةً ﴾[٣] .

فالطبري أعطى بعدًا جديدًا في تفسير الأحرف السبعة ، فقال : هي لغات سبع في حرف واحد ، وكأنه أراد أن يوفق بين الرأي القائل بأنها لغات سبع والرأي القائل بأنها مترادفات ، ولذلك تجد ابن حجر يذهب هذا المذهب ، فيقول : (قلت : ويمكن الجمع بين القولين ـ اللغات والمترادفات ـ بأن يكون المراد

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ٨/ ٢٩٢/ تح مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري مؤسسة قرطبة ، والاستذكار لابن عبد البر ٢/ ٤٨٦ تح سالم محمد عطا ومحمد علي معوض دار الكتب العلمية بيروت ط/ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ، والبرهان ١/ ٢٢٢ .

(٢) الذي قرأ «زقية» بدل « صيحة » عبد الله بن مسعود ، وعبد الرحمن بن الأسود المحتسب ٢/ ٢٠٦ .

(٣) جامع البيان ١/ ٣٠ .

بالأحرف تغاير الألفاظ مع اتفاق المعنى مع انحصار ذلك في سبع لغات)[(١)] .

وقد ذكر السيوطي هذا البعد الذي ذكره الطبري ـ وإن لم يصرح به ، فقال : (المراد بالأحرف السبعة اللغات المختلفة لأحياء من العرب في معنى واحد ، مثل هلم وهات وتعال وأقبل)[(٢)] .

(د) الطحاوي : قد سبق رأي الطحاوي ، وهو الرأي السادس ، واعتبر رأيه ردًّا على المجوزين القراءة بالمرادف .

(٢) أدلة أصحاب هذا الرأي :

لقد أعطى نص ابن عبد البر نموذجًا علميًّا ، وهو قراءة أبي بن كعب «سعوا فيه » بدلا من «مشوا فيه » وتوالت قراءات الصحابة ومن تبعهم في هذا الشأن ، ومما يضاف إلى ما سبق ذكره من قراءات بالمرادف :

أ ـ ومن ذلك ما رواه الأعمش قال : سمعت أنسًا يقرأ : ﴿ لَوَلَّوْا إِلَيْه وَهُمْ يَجْمِزُونَ ﴾ قيل له : «ما يجمزون ؟» إنما هي « يَجْمَحُونَ » فقال : يَجْمَحُونَ وَيَجْمِزُونَ وَيَشْتَدُّونَ واحد[(٣)] .

ويعقب ابن جني [ت ٣٩٢هـ] (ظاهر هذا أن السلف كانوا يقرؤون الحرف مكان نظيره ، من غير أن تتقدم القراءة بذلك ، لكنه لموافقة صاحبه في المعنى ، وهذا موضع نجد الطاعن به إذ كان هكذا على القراءة مطعنًا ، فيقول : ليست هذه الحروف كلها عن النبي ﷺ ولو كانت عنه لما ساغ إبدال

---

(١) فتح الباري ١/ ٣٣ .

(٢) الإتقان ١/ ١٢٤ .

(٣) المحتسب ١/ ٢٩٦ .

لفظ مكان لفظ ، إذ لم يثبت التخيير في ذلك عنه ، ولما أنكره - أيضا - عليه «يجمزون» إلا أن حسن الظن بأنس يدعو إلى اعتقاد تقدم القراءة بهذه الأحرف الثلاثة التي هي « يجمحون » و «يجمزون » و «يشتدون » فيقول : اقرأ بأيها شئت فجميعها حروف مسموعة عن النبي ﷺ لقوله ﷺ : « نَزَلَ الْقُرْآنُ بِسَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ »[1] .

فإن قيل : لو كانت هذه الأحرف مقروءًا بجميعها لكان النقل بذلك قد وصل إلينا .

قيل : أولًا يكفيك أنس موصلًا إلينا .

فإن قيل : إن أنسًا لم يحكها قراءة ، وإنما جمع بينها في المعنى ، واعتل في جواز القراءة بذلك لا بأنه رواها قراءة متقدمة .

قيل : قد سبق من ذكر حسن الظن ما هو جواب عن هذا) .

---

(١) بلفظ مطول عن أبيّ خرجه النسائي في السنن الكبرى : كتاب فضائل القرآن : باب : على كم نزل القرآن ٥/ ٥ حديث رقم ٧٩٨٦/ تح عبد الغفار سليمان البنداري ، د/ سيد كسروي حسن / دار إحياء الكتب العلمية / بيروت/ ط١ / ١٤١١ ـ ١٩٩١م والإمام أحمد في مسنده : ٥/ ٤١ ، ١٢٢ . وسعيد بن منصور في مسنده : كتاب فضائل القرآن ١/ ١٥٩ حديث رقم ٣٣ من حديث عمرو بن دينار يبلغ به النبي / تح د/ سعد بن عبد الله آل حميدان/ دار العصيمي/ الرياض/ ط١/ ١٤١٤هـ وابن أبي شيبة في مصنفه : كتاب فضائل القرآن : باب القرآن على كم حرف نزل ٦/ ١٣٨ حديث رقم ٣٠١٢٢ من حديث أبيّ بن كعب / تح . كمال يوسف الحوت / مكتبة الرشد/ الرياض / ط١/ ١٤٠٩ هـ والطبراني في المعجم الكبير ٢٠/ ١٥٠ الحديث رقم ٣١٢ من حديث معاذ بن جبل / تح الشيخ : حمدي السلفي / مكتبة العلوم والحكم / الموصل / ط٢/ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م وإسحاق ابن راهويه في مسنده : ٥/ ١٩٣ حديث رقم ٢٣٢١ من حديث أم أيوب / تح د. عبد الغفور البلوشي ، مكتبة الإيمان / المدينة المنورة/ ط١/ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

٢ ـ ومن ذلك قراءة عليٍّ ﷺ وابن عباس ، وابن مليكة [ت ١١٧ هـ] ، وعكرمة [ت ١٠٤ هـ] ، والجحدري [ت ١٢٨هـ] ، وعلى بن حسين [ت ٩٤هـ] ، وزيد بن علي ، وجعفر بن محمد [ت ١٣٦هـ] ، وأبي زيد المدني ، وعلي ابن بديمة ، وعبد الله بن يزيد [ت ٢١٣هـ] ﴿ أَفَلَمْ يَتَبَيَّنِ الذِينَ ﴾ .

قال أبو الفتح : هذه القراءة فيها تفسير معنى قول الله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الرعد :٣١] ، وروينا عن ابن عباس : أنها لغة ، وهبيل فخذ من النخع)[١] .

٣ ـ ومن ذلك قراءة أبي السمال : «فَحَاسُوا» بالحاء .

قال أبو الفتح : قال أبو زيد [ت ٢١٥هـ] أو غيره ، قلت له : إنما هو ﴿فَجَاسُواْ﴾ [الإسراء :٥] فقال : حَاسُوا وجَاسُوا : واحد وهذا يدل على أن بعض القراء يتخير بلا رواية)[٢] .

وهذا ـ لعمري ـ من ابن جني تناقض في موقفه حيث أحسن الظن بأنس وجعله يقرأ بالرواية ، وهنا يجعل القراءة بالاختيار ، وإنما القراءة سنة متبعة عن رسول الله ﷺ .

٤ ـ ومن ذلك قراءة قوله تعالى : ﴿ وَهُم مِّن ﴾ ﴿ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء :٩٦] .

قرأ ابن مسعود «حدب» ، «جدث» قال أبو الفتح : هو القبر بلغة أهل الحجاز)[٣] .

---

(١) المحتسب ١/ ٣٥٧ .

(٢) السابق ٢/ ١٥ .

(٣) المحتسب ٢/ ٦٦ .



٥ـ ومن ذلك قوله ـ تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا ﴾ [الحديد :١٣] . قرأها ابن مسعود وأبيّ بن كعب «أمهلونا ، أخرونا ، ارقبونا»[1] .

٦ ـ قوله ـ تعالى : ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل :٦] عن الأعمش عن أنس أنه قرأ : ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ « وأصوب » فقيل له : يا أبا حمزة : إنما هي « ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ فقال أنس : «إن أَقْومُ » ، « وَأَصْوَبُ » ، « وَأَهْيَأُ » واحد[2] .

فهذه الروايات تثبت أن المراد بالأحرف السبعة هي القراءة بالمرادف ، كما احتج أصحاب هذا الرأي بما روى عن رسول الله ﷺ .

(أ) حدث سلمان بنْ صرد عن أبي بن كعب ، قال : قرأ أُبيٌّ آيَة وَقَرَأَ ابنُ مسعود آيَةً خَلافَها ، وَقَرأَ رَجُلٌ آخرُ خِلافَهُمَا ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ : أَلَمْ تَقْرَأْ آيَةَ كَذَا ؟ ، وَقَالَ ابنُ مَسْعُودٍ : أَلَمْ تَقْرَأْ آيَةَ كَذَا ؟ فَقَالَ : « كُلُّكُمْ مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ » وقال : « يا أُبَيّ : إِنِّي أُقْرِئْتُ الْقُرْآنَ ، فَقُلْتُ : عَلَى حَرْفٍ أو حَرْفَيْنِ ، فَقَالَ لِي المَلَكَ : عَلَى حَرْفَيْنْ ، فَقُلْتُ : عَلَى حَرْفَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ ، فَقَالَ عَلى ثَلاثَةٍ ، هَكَذَا حَتَى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ لَيْسَ فِيهَا إِلاَّ شَافٍ كَافٍ ، قُلْتُ : غَفُورًا رَحِيمًا ، أَوْ قُلْتُ : سَمِيعًا حَكِيمًا ، أَوْ قُلْتُ : عَلِيمًا حَكِيمًا ، أَوْ قُلْتُ : عَزِيزًا حَكِيمًا ، أَيَّ ذَلك قلتَ فَإِنَهُ كَذِلكَ »[3] .

---

(١) البرهان ١/ ٢٢١ .

(٢) المحتسب ٢/ ٣٣٦ .

(٣) البرهان :١/ ٢٢١ وقد سبق تخريجه .

(ب) حدث أبو بكر ، قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : اقرَأْ عَلَى حَرْفٍ ، فَقَالَ مِيكَائِيلُ : استزدْهُ ، فقال : على حَرْفَيْن ، فقال ميكائيلُ : استزدهُ ، حتى بلغ إلى سبعة أحرفٍ ، فقال : اقْرأْهُ ، فكل شافٍ كافٍ ، إلاَّ تَخْلِطْ آيَة رحمةٍ بآيةِ عذابٍ ، وآيةَ عذابٍ بآيةِ رَحْمَةٍ ، نحو هَلُمَّ ، وتعال ، وأقبلْ ، واذهب ، وأسرع ، وعجل [١] .

مناقشة هذا الرأي :

نستطيع أن نناقش هذا الرأي بما يلي :

١ ـ هذا الرأي مردود بما قاله أبو عمر : (إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها متفق مفهومها ، مختلف مسموعها ، لا يكون في شيء منها معنى وضده ، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافًا ينفيه ويضاده ، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده) [٢] .

٢ ـ زوال سبب القراءة بالمرادف ، فكانت القراءة به رخصة للمسلمين الأولين ، تيسيرًا عليهم ، وعندما زالت المشقة نسخت القراءة بالمرادف ، يقول الطحاوي : (وإنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد ، لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ ، وكذا قال ابن عبد البر والباقلاني وآخرون) [٣] .

---

(١) البرهان :١/ ٢٢١.

(٢) السابق .

(٣) الإتقان ١/ ١٣٤ ، ١٣٥ .

وذكر ابن حجر (ما يتغير بإبدال كلمة بكلمة ترادفها ، مثل : ﴿ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة :٥] .في قراءة ابن مسعود وسعيد بن جبير [ت ٩٥هـ] : ﴿ كالصوف المنفوش ﴾ وهذا وجه حسن ، لكن استبعد قاسم بن ثابت [ت ٣٠٢هـ] في الدلائل [١] . لكون الرخصة في القراءات إنما وقعت وأكثرهم يومئذ لا يكتب ولا يعرف الرسم ، وإنما كانوا يعرفون الحروف بمخارجها)[٢] .

٣ ـ رفض بعض العلماء مبدأ سماع كل المترادفات من النبي ﷺ وهذه مسألة أوقعت ابن جني في تناقض ـ كما سبق ذكره ـ وليس الأمر كذلك بل يحسم ابن حجر القضية ، فيقول : (إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي ، أي إن كل أحد يغير الكلمة بمرادفها في لغته ، بل المراعي في ذلك السماع من النبي ﷺ ويشير إلى ذلك قول كل من عمر وهشام في حديث الباب (أقرأني النبي ﷺ لكن ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه كان يقرأ بالمرادف ، ولو لم يكن مسموعًا له ، ومن ثم أنكر عمر على ابن مسعود قراءته : ﴿عتى حين ﴾ أي : ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يوسف :٣٥] .وكتب إليه : إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل ، فأقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل ، وكان ذلك قبل أن يجمع عثمان الناس على قراءة واحدة)[٣] .

تعليق :

هذا تناقض من ابن حجر ، ويرد عليه ومن تبعه بما يلي :

أ ـ يرد الطبري على الفكرة القائلة بأنه يجوز القراءة بالمرادف دون سماع ،

---

(١) في شرح غريب الحديث ومعانيه .

(٢) فتح الباري ١٩/ ٣٤ .

(٣) فتح الباري ١٩/ ٣٢ .

فيقول : (مع أن المتدبر إذا تدبر قول هذا القائل في تأويله قول النبي ﷺ : «أُنزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » وادعائه أن معنى ذلك بأنها سبع لغات متفرقة في جميع القرآن ، ثم يجمع بين قيله ذلك ، واعتلاله لقيله ذلك بالأخبار التي رويت عمن روى ذلك عنه من الصحابة والتابعين أنه قال : هو بمنزلة قولك : تعال ، وهلم ، وأقبل ، وأن بعضهم قال : هو بمنزلة قراءة عبد الله ﴿ إِلاَّ زَقْيَةً ﴾ وهي في قراءتنا ﴿ إِلَّا صَيْحَةً ﴾ وما أشبه ذلك من حججه ، علم أن حججه مفسدة في ذلك مقالته ، وأن مقالته فيه مضادة حججه ، لأن الذي نزل به القرآن عنده إحدى القراءتين ، إما ﴿ صَيْحَةً ﴾ وإما « زَقْيَةً » وإما «تعال » أو « أقبل » ، أو « هلم » لا جميع ذلك ، لأن كل لغة من اللغات السبع عنده ـ في كلمة ، أو حرف من القرآن غير الكلمة ، أو الحرف الذي فيه اللغة)[1] .

فإذا كان هذا النص يثبت أن الذي سمع من النبي ﷺ هو أحد المترادفات لا جميعها ، فإن هذا يبطل رأي المجوزين لذلك .

ب ـ ذكر السيوطي قراءات لبعض الصحابة مثل قراءة سعد بن أبي وقاص : [ت ٥٥ هـ] ﴿ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ ﴾ ومثل قراءة ابن عباس : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ في مَواسِمِ الْحَجِ ﴾ وقراءة ابن الزبير [ت ٧٣هـ] ﴿ وَلْتكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ بِاللهِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾ .

ثم ينقل عن ابن الجزري قوله في آخر كلامه : (وربما كانوا يدخلون

(١) جامع البيان ١/ ٥٧ .

التفسير في القراءة ـ إيضاحًا وبيانًا ـ لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآنًا، فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه، وأما من يقول: إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى، فقد كذب)[١].

ج ـ لو جاز ذلك لما وقع الخلاف بين عمر وهشام رضي الله عنهما وبين عمر وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ ولما وقع شك في صدر أُبيّ بن كعب رضي الله عنه ولما كان هناك داع لإزالة النبي ﷺ لهذا الخلاف، ولهذا الشك، ولكنه ﷺ أزال ذلك بتقريره أن مصدر اختلاف القراءات، إنما هو وحي من الله عز وجل.

د ـ إذا نظرنا في الروايات المذكورة سابقًا والتي تثبت القراءة بالمعنى، نجدها واردة عن عمر، وابن مسعود، وأبي، وعليّ، وابن عباس، وغيرهم، وهذا شبه إجماع، ولا سبيل لإنكاره.

٤ ـ قلة المترادفات الواردة في القراءات، والاقتصار على النزر اليسير فيه ظلم للمشهور الكثير الذي مثل مستويات أخرى غير الدلالة، من أصوات، وبنية، وتراكيب.

الرأي الثامن:

المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب، ذهب إلى ذلك ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: «نزل القرآن على سبع لغات»[٢]. وأبو عبيد القاسم بن سلام، حيث قال: «على سبعة أحرف» يعني سبع لغات من لغات العرب، قال: وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا لم نسمع به، قال: ولكن نقول: هذه اللغات متفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش،

---

(١) الإتقان ١/ ٢١٦.

(٢) فتح الباري ١٩/ ٣١.

وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة أهل اليمن ، وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله واحدة ، قال : ومما يبين ذلك قول ابن مسعود : إني قد سمعت القرأة ، ووجدتهم متقاربين ، فاقرؤوا كما علمتم ، إنما هو كقول أحدكم : هلم وتعال وأقبل [١] ، وهو مذهب أبي العباس : أحمد بن يحيى (ثعلب) [ت٣٢٣ هـ] حيث حكى الأزهري [ت٣٧٠هـ] عنه ، فقال : (وأخبرني المنذري [ت ٣٢٩ هـ] عن أبي العباس أنه سئل عن قوله : « نزل القرآن على سبعة أحرف» فقال : ما هي إلا لغات ، قلت ـ أي الأزهري : فأبو العباس النحوي ، وهو واحد عصره ، قد ارتضى ما ذهب إليه أبو عبيد واستصوبه) [٢] . وارتضى الأزهري ما ذهب إليه أبو عبيد وأبو العباس ، فقال : (فالذي أذهب إليه في تفسير قوله : « نزل القرآن على سبعة أحرف » ما ذهب إليه أبو عبيد ، واتبعه على ذلك أبو العباس أحمد بن يحيى . . قلت : وهذه الأحرف السبعة التي معناها اللغات غير خارجة من الذي كتب في مصاحف المسلمين التي اجتمع عليها السلف المرضيون والخلف المتبعون [٣] .

وقال الزركشي : (وحكاه ابن دريد [ت ٣٢١هـ] عن أبي حاتم السجستاني وحكاه بعضهم عن القاضي أبو بكر [الباقلاني] وقال الأزهري في التهذيب : إنه المختار ، واحتج بقول عثمان حين أمرهم بكتب المصاحف : وما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش ، فإنه أكثر ما أنزل بلسانهم ، وقال البيهقي في شعب الإيمان : إنه الصحيح ، أي إن المراد اللغات السبع التي

(١) تهذيب اللغة ٥/ ١٣ [حرف] تح د/ عبد الله درويش/ الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(٢) السابق .

(٣) السابق ٥/ ١٣ ، ١٤ [حرف] .

هي شائعة في القرآن . . . وكذلك قال ابن سيرين [ت ١١٠هـ] . . . ثم اختلف القائلون بهذا في تعيين السبع)[١] .

اعتراضات على هذا الرأي :

وقد اعترض على هذا الرأي باعتراضات هي :

الاعتراض الأول :

ذكر ابن حجر في قوله : (وتعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة)[٢] . وقال الطبري : (صح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجمع ، إذ كان معلومًا أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة مما يعجز عن إحصائه)[٣] . ويعلق الدكتور / جبل ، فيقول : (ثم ماذا يقال عن سائر اللهجات العربية ، والتي هي أكثر من سبعة مما يعجز عن إحصائه ، كما قال الطبري ، أيقال : إنها غير فصيحة ، قد جاءت منها ألفاظ وقراءات في القرآن الكريم ؟ أم يقال : إنها أقل عربية من غيرها فتأتي برأي عصبي يمقته الإسلام)[٤] .

الاعتراض الثاني :

ذكره ابن عبد البر في قوله : (أنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى الأحرف : اللغات ؛ لما تقدم من اختلاف هشام وعمر ولغتهما واحدة[٥] .

ويزيد الزركشي الأمر وضوحًا عن ابن عبد البر ، فيقول : (لأنه لو كان

---

(١) البرهان ١/ ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) فتح الباري ١٩/ ٣١ .

(٣) جامع البيان ١/ ١٥ .

(٤) حديث نزول القرآن ١٥ ، ١٧ .

(٥) فتح الباري ١٩/ ٣٣ .



كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الأمر ، لأن ذلك من لغته التي طبع عليها ، وأيضًا فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم ، وكلاهما قرشي ، وقد اختلفت قراءتهما ، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته)[1] . فدل هذا على (أن المراد بالأحرف السبعة غير اللغات)[2] .

الاعتراض الثالث :

الروايات الصحيحة ، والتي تثبت أن الاختلاف (ترادفي) يقول الدكتور جبل : (وباختصار فالمسألة في رأي الطبري هي أن دلالة حديث : « كقولك : هلم وتعال » هي قراءة كلمة بدل كلمة في الموضع نفسه ، أما قراءة كلمة من لغة بدل كلمة بمعناها من لغة أخرى في موضع آخر بحيث تكون هذه في آية ، وتلك في آية أخرى ، فلا يثير خلافًا ولا يحتج له بحديث : (كقولك : هلم وتعال) وحيث ثبت وقوع الخلاف وصحة حديث : (كقولك : هلم وتعال) فالقول بأن الأحرف السبعة قراءات مفرقة في القرآن الكريم قول باطل)[3] .

الاعتراض الرابع :

الإلزام بلهجة معينة ينافي روح التيسير ، والتخصيص لقبائل بعينها دون مخصص تحكم ، يقول الدكتور / جبل : (إن القراءات اللهجية طبيعة في أهل كل لهجة ، ومضادة الإسلام لها بإلزام الناس بلهجة معينة ولو في أول الأمر ، أو حتى بسبع بعد نزول الحديث شيء لا يتفق وطبيعة الدين الذي جاء يرفع الحرج ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، ﴿ مَا

---

(١) البرهان ١/ ٢١٩ .

(٢) الإتقان ١/ ١٧٠ وحديث نزول القرآن ١٤ .

(٣) حديث نزول القرآن ١٧ .

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة :٦] ، ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[الحج :٧٨] ثم إن هذا الإلزام بلهجة معينة يثير معنًى لا يتفق مع روح الإسلام ، وهو معنى العصبية . . بل إن تخصيص قبائل بعينها لتزعم أن القرآن نزل بلغتها دون سائر القبائل الأخرى فيه تخصيص بدون مخصص ، لقوله تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء :١٩٥] . . وأخيرًا فإن هذه الصورة ، أي وجود ألفاظ من لغات سبع متفرقة في القرآن الكريم ، لا يحقق التخفيف والتيسير المقصود من نزول القرآن على سبعة أحرف ... إذ سيحمل كل قارئ بقليل الألفاظ الواردة من لغته أضعاف أضعافها من الألفاظ الواردة بلغات القبائل الأخرى)[1] .

الاعتراض الخامس :

اختلاف العلماء حول تعيين اللغات السبع ، فهم (لم يتفقوا على القبائل السبع المقصودة التي نزل القرآن بلغاتها ، وما كان لهم أن يتفقوا ، لأن كل قول في ذلك سيقوم على تحكم لا بد أن يوجد من لا يسلمه) .

هذه الاعتراضات وغيرها سنناقشها ـ بإذن الله تعالى : عندما نختار رأيًا ونميل إليه .

رابعا : الرأي الذي أرجحه وأميل إليه :

إن الناظر في الأقوال والآراء التي فسرت الحديث يرى أن الرأي المختار ، والأحرى بالقبول ، هو الرأي الذي يذهب إلى أن المراد بالأحرف السبعة

---

(١) حديث نزول القرآن ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ .

(٢) السابق ١٥ .

سبع لغات من لغات العرب مع عدم إرادة حقيقة العدد .

وذلك لما يلي :

١ ـ كثرة الآراء القائلة بذلك في القديم والحديث

أولا : في القديم :

١ ـ ذكر ابن قتيبة(١) [ت٢٧٦هـ] وجوه الخلاف بين القراءات ، فقال : (وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه :

أولها : الاختلاف في إعراب الكلمة ، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ، ولا يغير معناها ، نحو قوله ـ تعالى :

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ ﴾[هود :٧٨] و﴿ أَطْهَرَ لَكُمْ ﴾(٢) .

﴿ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾ [سبأ : ١٧] ﴿ وَهَلْ يُجَازَى إِلا الْكَفُورُ ﴾(٣) .

﴿ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾[النساء :٣٧ ، الحديد : ٢٤] و ﴿بِالْبَخَلِ﴾(٤) .

---

(١) ينظر تأويل مشكل القرآن ٣٦ وما بعدها ، والبرهان ١/ ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٥ ، والجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ١/ ٩٢ ، ٩٣/ دار الغد العربي/ ط١ / ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ، والنشر ١/ ٢٦ والإتقان ١/ ٣٢ .

(٢) بالنصب قراءة سعيد بن جبير ، والحسن بخلاف ومحمد بن مروان ، وعيسى الثقفي ، وابن أبي إسحاق . المحتسب ١/ ٣٢٥ .

(٣) بالبناء للمفعول ورفع «الكفور» نائبه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو ، وابن عامر ، وأبي بكر ، وأبي جعفر وابن محيصن واليزيدي والحسن . الإتحاف ٢/ ٣٨٥ .

(٤) بفتح الباء والخاء قراءة حمزة والكسائي ، وخلف والأعمش ، وكذا ابن محيصن بخلف في الحديد . الإتحاف ١/ ٥١١ ، ويقول أبو حيان : (وقرأ الجمهور « بالبخل» بضم الباء وسكون الخاء ، وعيسى بن عمر والحسن بضمهما ، وحمزة والكسائي بفتحهما وابن الزبير وقتادة وجماعة بفتح الباء وسكون الخاء ، وهي كلها لغات ، قال الفراء : «البخل» مثقلة=

﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ و﴿ مَيْسُرَةٍ ﴾[1] .

والوجه الثاني :

أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب ، نحو قوله ـ تعالى :

﴿ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ [سبأ : ١٩] و﴿ رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[2] .

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ [النور :١٥] و ﴿ تَلْقَوْنَهُ ﴾[3] .

﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف ﷺ ٤١] و ﴿ بَعْدَ أَمَه ﴾[4] .

= لأسد و« البخل » خفيفة لتميم، و« البخل » لأهل الحجاز ، ويخففون ـ أيضًا . . . فتصير لغتهم ولغة تميم واحدة ، وبعض بكر بن وائل يقولون : « البخل » البحر المحيط ٣/ ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(١) يقول البنا الدمياطي : (واختلف في « ميسرة » فنافع بضم السين ، وافقه ابن محيصن والباقون بالفتح ، وهو الأشهر ، لأن مفعلة بالفتح كثير ، وبالضم قليل جدًا ، لأنها لغة أهل الحجاز ، وقد جاء منه نحو : المقبرة ، والمسربة ، والمأدبة) ، وقال أبو حيان :
(والضم لغة أهل الحجاز ، وهو قليل . . . والكثير مفعلة بفتح العين ، وقرأ الجمهور بفتح السين على اللغة الكثيرة ، وهي لغة أهل نجد) . الإتحاف ١/ ٤٥٨ ، والبحر المحيط ٢/ ٣٤٠ .

(٢) برفع لفظ « رب » وفعل الأمر (الرجاء) « باعد » قراءة ابن عباس وابن يعمر ، ومحمد بن على وأبي رجاء والحسن ـ بخلاف ـ وأبي صالح وسلام ويعقوب وابن أبي ليلى والكلبي . والمحتسب ٢/ ١٨٩ .

(٣) بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف مخففة قراءة عائشة وابن عباس { وابن يعمر وعثمان الثقفي ، أي : فتسرعون فيه وتخفون إليه ، وقرأ إذ تلقونه من ألقيت ابن السميقع ، المحتسب ٢/ ١٠٤ .

(٤) هي قراءة ابن عباس وابن عمر بخلاف عكرمة ومجاهد بخلاف عنهما والضحاك وأبي=

والوجه الثالث :

أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها ، مما يغير معناها ولا يزيل صورتها :

نحو قوله : ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة :٢٥٩] ، و﴿ نَنشُرها﴾ [(١)] .

ونحو قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ [سبأ : ٢٢] و ﴿ فُرِّغَ ﴾ [(٢)] .

والوجه الرابع :

أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ، ولا يغير معناها ، نحو قوله :

﴿ إِن كَانَتْ إِلاَّ زَقْيَةً ﴾ [(٣)] . و﴿ صَيْحَةً﴾ [يس :٢٩ ، ٥٣] .

= رجاء وقتادة وشبيل بن عزرة الضبعي وربيعة بن عمرو وزيد بن علي ، وقرأه « بعد أمة » الأشهب العقيلي ، قال أبو الفتح (الأمه) النسيان ، أمه الرجل أمه أمهًا : أي : نسي ، والأمة : النعمة ، أي بعد أن أنعم عليه بالنجاة ، المحتسب ١/ ٣٤٤ والنسيان في معنى أمه لغة تميم وقيس عيلان . المعجم الدلالي للهجات القبائل العربية د/ الموافي الرفاعي البيلي ٢٥ . التركي / ط١/ ١٤١٢هـ ـ١٩٩٢م .

(١) بالراء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عباس والحسن وأبي حيوة وأبان عن عاصم . البحر المحيط ٢/ ٢٩٣ .

(٢) بالراء المهملة والغين المعجمة قراءة (بالبناء للمعلوم) قراءة الحسن ـ بخلاف ـ وقتادة وأبي المتوكل ، وقرأ «فرغ » بالراء خفيفة وبالغين ، والفاء مضمومة الحسن وقتادة بخلاف عنهما ، وقد روى عن الحسن « فرغ » بضم الفاء ، وبالراء مشددة وبالغين) المحتسب ٢/ ١٩١ ، ١٩٢ .

(٣) ينظر ص ٢٥ .

﴿ كَالصُّوفِ المَنْفُوشِ ﴾[١] . و﴿ كَٱلْعِهْنِ ﴾ [القارعة :٥] .

والوجه الخامس :

أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله :

* ﴿ وَطَلْعٍ مَنضُودٍ ﴾[٢] . في موضع ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ [الواقعة :١٩] .

والوجه السادس :

أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير ، نحو قوله :

* ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾[ق :١٩]

وفي موضع آخر : ﴿ وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بالمَوْتِ ﴾[٣] .

والوجه السابع :

أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان ، نحو قوله ـ تعالى :

﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[٤] . ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ [يس :٣٥] .

ونحو قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [لقمان : ٢٦] و﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ

---

(١) في قراءة ابن مسعود وسعيد بن جبير فتح الباري ١٩/ ٢٤ .

(٢) بالعين قراءة علي بن أبي طالب على المنبر ، فقيل له : أفلا تغيره في المصحف؟ قال : ما ينبغي للقرآن أن يهاج ، أي لا يغير مختصر في شواذ القرآن ـ لابن خالويه ١٥١ عني بنشره . ج . براجشتراسر/ مكتبة المتنبي / القاهرة .

(٣) قراءة أبي بكر ﷺ عند خروج نفسه وقرأ بها سعيد بن جبير وطلحة . المحتسب ٢/ ٢٨٣ ، وزين العابدين . فتح الباري ١٩/ ٣٤ .

(٤) قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي . الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها . مكي القيسي ١/ ٢١٦ / تح . د . محيي الدين رمضان / مؤسسة الرسالة / بيروت ط٤ / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [(١)] [الحج :٦٤] .

وقرأ بعض السلف : ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنثى﴾ [(٢)] .

﴿وإِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا مِن نَفْسِي فَكَيْفَ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا﴾ [(٣)] .

هذه الأوجه تثبت أن اختلاف القراءات في الأعم يرجع إلى اختلاف لهجات ، سواء كان الخلاف ترادفيًّا أو غير ترادفي ، وهذا ما صرح به ابن قتيبة ، فبعد أن ذكر الوجوه السبعة السابقة ، قال : (وكل هذه « الحروف » كلام الله ـ تعالى ـ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وذلك أنه كان يعارضه في كل شهر من شهور رمضان بما اجتمع عنده من القرآن ، فيحدث الله إليه من ذلك ما يشاء ، وينسخ ما يشاء ، وييسر على عباده ما يشاء ، فكان من تيسيره أن أمره بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم :

* فالهذلي يقرأ : ﴿عَتَّى حِينٍ﴾ يريد ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف :٣٥] لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها .

* والأسدي يقرأ : ﴿تِعْلَمُونَ وتِعلم﴾ و﴿تِسْودُّ وُجُوهٌ﴾ و ﴿أَلَمْ إِعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ .

* والتميمي يهمز .

---

(١) بلفظ « وإن . . . » إلى الآية .

(٢) جاء في الجامع ٨/ ٥٨١٥ (قال النحاس : وفي قراءة ابن مسعود : ﴿إن هذا أخي كان له تسع وتسعون نعجة أنثى﴾ .

(٣) جاء في البحر ٦ / ٢٣٣ : (في مصحف أبي ﴿أكاد أخفيها من نفسي﴾ وفي بعض المصاحف ﴿أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها﴾ ... ورويت هذه الزيادة ـ أيضا ـ عن أبي ، ذكر ذلك ابن خالويه ، وفي مصحف عبد الله : ﴿أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق﴾ وفي بعض القراءات : ﴿وكيف أظهرها لكم﴾ .

* والقرشي لا يهمز .

* والآخر يقرأ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ و ﴿ غِيضَ المَاءُ ﴾ بإشمام الضم مع الكسر .

* و ﴿ هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رِدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ بإشمام الكسر مع الضم .

* و ﴿ مَالَكَ لَا تَأْمَنَا ﴾ بإشمام الضم مع الإدغام . وهذا ما لا يطوع به كل لسان ، ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلًا وناشئًا وكهلًا ، لاشتد ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للعادة فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعًا في اللغات ، ومتصرفًا في الحركات ، كتيسيره عليهم في الدين)[1] .

* ثم قسم ابن قتيبة الاختلافات في الوجوه السابقة إلى نوعين :

١ ـ اختلاف تغاير .

٢ ـ اختلاف تضاد .

١ ـ فاختلاف التضاد لا يجوز ، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ .

٢ ـ واختلاف التغاير جائز ، وذلك مثل :

أ ـ قوله : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف :٤٥] . أي بعد حين ، وبعد « أمه » أي بعد نسيان ، والمعنيان ـ جميعًا ـ وإن اختلفا ـ صحيحان ؛ لأن ذكر أمر

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٣٩ ، ٤٠ ، وينظر النشر ١/ ٢٢ ، ٢٣ .

«يوسف» بعد حين ، وبعد نسيان ، فأنزل الله على لسان نبيه ﷺ بالمعنيين - جميعًا - في عرضين .

ب - وكقوله : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ [النور :١٥] أي تقبلونه وتقولونه ، «تلقونه» من الولق ، وهو الكذب ، والمعنيان - جميعًا - وإن اختلفا - صحيحان ؛ لأنهم قبلوه وقالوه ، وهو كذلك ، فأنزل الله على نبيه بالمعنيين - جميعًا - في عرضين .

ج - وكقوله : ﴿ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ [سبأ :١٩] على طريق الدعاء والمسألة ، و ﴿ رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ على جهة الخبر ، والمعنيان - وإن اختلفا - صحيحان ، لأن أهل سبأ سألوا الله أن يفرقهم في البلاد ، فقالوا : ﴿ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ فلما فرقهم الله في البلاد أبدى سبأ وباعد بين أسفارهم ، قالوا : ﴿ رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ وأجابنا إلى ما سألنا ، فحكى الله - سبحانه - عنهم المعنيين في عرضين .

٤ - وكذلك قوله : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الإسراء : ١٠٢] و ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء ﴾ لأن فرعون قال لموسى : إن آياتك التي أتيت بها سحر ، فقال موسى مرة : لقد علمت ما هي سحر ، ولكنها بصائر ، وقال مرة : لقد علمت - أنت - أيضًا - ما هي سحر ، وما هي إلا بصائر ، فأنزل الله المعنيين جميعًا .

٥ - وقوله : ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ﴾ [يوسف :٣١] وهو الطعام ، ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنْ مُتْكًا ﴾ وهو الأترج ، ويقال : الزُّمَاوَرْد ، فدلت هذه القراءة على معنى ذلك الطعام ، وأنزل الله المعنيين - جميعًا .

٦ ـ وكذلك ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ، و ﴿ ننشِرُها ﴾ لأن الإنشار : الإحياء ، والإنشاز : هو التحريك للنقل ، والحياة حركة فلا فرق بينهما .

٧ ـ وكذلك : ﴿ فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ [سبأ : ٢٣] و ﴿ فُرِّغَ ﴾ لأن « فُزِّعَ » خفف عنها الفزع ، و « فُرِّغَ » فرغ عنها الفزع .

وكل ما في القرآن من تقديم أو تأخير ، أو زيادة أو نقصان ، فعلى مثل هذه السبيل)[1] .

*** وهناك اعتراضات على ابن قتيبة :**

الأول : أن ابن قتيبة لم يقل بتفسير الأحرف باللغات ، بل بلغة واحدة ، وقد أثار هذا الاعتراض الزركشي في قوله : (أنكر ابن قتيبة وغيره هذا القول وقالوا : لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾[2] [إبراهيم :٤] .

*** والرد على هذا الاعتراض :**

ورُدَّ على هذا بما يلي :

١ ـ كلام ابن قتيبة النظري والعملي في نصه السابق .

٢ ـ وأيضًا ذكر ابن قتيبة للحديث ثم علق بقوله : (وقد غلط في تأويل هذا الحديث قوم ، فقالوا : السبعة الأحرف وعد ووعيد ، وحلال وحرام ، ومواعظ ، وأمثال واحتجاج ، وقال آخرون : هي سبع لغات في الكلمة ، وقال

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

(٢) البرهان ١/ ٢٨١ .

قوم : حلال وحرام ، وأمر ونهي ، وخبر ما كان قبل ، وخبر ما هو كائن بعد ، وأمثال وليس بشيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل . . . وإنما تأويل قوله ﷺ : « **نَزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ** »على سبعة أوجه من اللغات متفرقة في القرآن ، يدلك على ذلك قول رسول ﷺ : « **فَاقْرَأُوا كَيْفَ شِئْتُمْ** »(١) .

الثاني : أثاره قاسم بن ثابت ، فلقد استبعد وجوه ابن قتيبة بناء على أن الرخصة في القراءات إنما وقعت وأكثرهم ـ يومئذ ـ لا يكتب ولا يعرف الرسم ، وإنما كانوا يعرفون الحروف بمخارجها ، قال : وأما ما وجد من الحروف المتباينة المخرج ، المتفقة الصورة ، مثل : « ننشرها » و « ننشزها » فإن السبب في ذلك تقارب معانيها ، واتفق تشابه صورتها في الخط)(٢) .

* فالاختلاف في بعض وجوه القراءات السبعة التي ذكرها ابن قتيبة يبدو أنه اختلاف في إعجام الحروف ، أي نقطها ، ولا يمكن ـ من وجهة نظر قاسم ـ أن يقع الاختلاف بين الصحابة الذين عاصروا نزول القرآن ، والذين لا يعرفون الحروف إلا بمخارجها ، لا يمكن أن يحدث في مثل هذه الأمور .

* **الرد على هذا الاعتراض** : وَرَدَّ ابن حجر على هذه الشبهة بقوله : (ولا يلزم من ذلك توهين ما ذهب إليه ابن قتيبة ؛ لاحتمال أن يكون الانحصار المذكور في ذلك وقع اتفاقًا ، وإنما اطلع عليه بالاستقراء ، وفي ذلك من الحكمة البالغة ما لا يخفى)(٣) .



---

(١) تأويل مشكل القرآن ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) فتح الباري ١٩/ ٣٤ .

(٣) أخرجه النسائي عن أُبيّ بن كعب في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب الوسوسة ١/ ٤٢١ حديث رقم ٦٧٠/ تح د/ فاروق حمادة / مؤسسة الرسالة / بيروت / ط٢ / ١٤٠٦هـ .

الثالث : تحدث فيه الطبري ، حيث قال : (فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف وجره ونصبه ، وتسكين حرف وتحريكه ، ونقل حرف إلى آخر ، مع اتفاق الصورة ، فمن معنى قول النبي ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » بمعزل ؛ لأنه معلوم أنه لا حرف من حروف القرآن ما اختلفت القرأة في قراءته بهذا المعنى ـ يوجب المراء به كفر المماري به ـ في قول أحد من علماء الأمة ، وقد أوجب ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالمراء فيه الكفر من الوجه الذي تنازع فيه المتنازعون إليه وتظاهرت منه بذلك الرواية)[1] .

ويبين الدكتور/ جبل كلام الطبري ، فيقول : (ويورد الطبري مناقشة للقول بأن الأحرف هي أوجه قرائية مختلفة الحركات والحروف كالذي قال به ابن قتيبة ومن في مجموعته بأنه لم يقل أحد من علماء الأمة بتكفير من ينكر أيًا من هذه الأوجه التي قال بها ابن قتيبة مع أن النبي ﷺ حكم بكفر من مارى في حرف من الحروف التي نزل بها القرآن ، فدل ذلك على أن الحروف المقصودة في الحديث هي شيء غير الأوجه التي قال بها ابن قتيبة ومن تبع خطه)[2] .

وإذا كان الدكتور قد اعتمد على كلام الطبري في تفسير الأحرف السبعة بغير الأوجه اللهجية ، فإنه اعتمد على نفس الكلام ليستبعد هذا التفسير تمامًا ، فيقول : (وعلى ذلك فإن تفسير الأحرف السبعة بالقراءات اللهجية ينبغي أن

---

(١) جامع البيان ١/ ٢٣ .
(٢) حديث نزول القرآن ١٣ .

يستبعد ؛ لأن الشواهد والمنطق لا يؤيدانه)[١] .

الرد على هذا الاعتراض :

أ ـ قال ابن حبان : (قيل : أقرب الأقوال إلى الصحة أن المراد به سبع لغات ، والسر في إنزاله على سبع لغات تسهيله على الناس ؛ لقوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ [القمر :١٧] ، فلو كان ـ تعالى ـ أنزله على حرف واحد لا نعكس المقصود)[٢] ... وقال بعض المتأخرين : (الأشبه بظواهر الأحاديث أن المراد بهذه الأحرف اللغات ، وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم ، وما جرت عليه عادتهم ، من الإظهار ، والإدغام ، والإمالة ، والتفخيم ، والإشمام ، والهمز ، والتليين ، والمد ، وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه منها في الكلمة الواحدة ، فإن الحرف هو الطرف والوجه ، كما قال ـ تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾[الحج :١١]أي : على وجه واحد)[٣] .

ويقول الزركشي : وكان الإنزال على الأحرف السبعة توسعة من الله ورحمة على الأمة ؛ إذ لو كلف كل فريق منهم ترك لغته والعدول على عادة نشؤوا عليها ، من الإمالة ، والهمز ، والتليين ، والمد ، وغيره ، لشق عليهم)[٤] .

والدكتور/ جبل نفسه ، يقول : (فإن الترخيص للقارئ أن ينطق الألفاظ على حسب ما تعود في لهجته من همز أو عدمه ، ومن تفخيم أو ترقيق ، ومن

---

(١) السابق ٥٠ .

(٢) البرهان ١/ ٢٢٦ .

(٣) البرهان ١/ ٢٢٧ .

(٤) السابق .



إمالة أو نصب ، ومن ضبط بنية الكلمة أو إعرابها ، بالصورة التي تجري عليها قبيلته ، إلى غير ذلك من الاختلافات)[(١)] .

ثم نتساءل : ما المانع أن يكون النهي عن المراء في القرآن ـ والقراءات مثله ـ شاملًا لجميع الوجوه ، وليس منصبًّا ـ فقط ـ على الألفاظ المترادفة !!

٢ ـ الأزهري [ت ٣٧٠هـ] رأيه واضح في قوله : (وللعرب مذاهب في الهمزة ، فمنهم من يحقق الهمز ، ويسمونه « النبر » ، ومنهم من يخفف الهمز ويلينه ، ومنهم من يحذف الهمز ، ومن يحول الهمز ، وهي لغات معروفة ، والقرآن نزل بلغات العرب)[(٢)] .

٣ ـ القرطبي [ت ٦٧١هـ] ذكر خمسة أقوال من خمسة وثلاثين قولًا ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي ، والناظر في الأقوال الخمسة ، يجد أن القول الثاني والثالث يفصحان عن تفسير الأحرف باللغات ، يقول القرطبي : (القول الثاني : قال قوم : هي سبع لغات في القرآن على لغات العرب كلها : يمنها ونزارها ، لأن رسول الله ﷺ لم يجهل شيئًا منها ، وكان قد أوتي جوامع الكلم ..... والقول الثالث : أن هذه اللغات السبع إنما تكون في مضر ، قاله قوم ، واحتجوا بقول عثمان : نزل القرآن بلغة مضر . . .)[(٣)] .

٤ ـ الصفاقسي [ت ٧٤٢هـ] قال : (سمى النبي ﷺ هذه الأوجه المختلفة

---

(١) حديث نزول القرآن ٤٦ .

(٢) معاني القراءات ١/ ١٢٩ تح د/ عيد مصطفى درويش ، د/ عوض بن حمد القوازي/ دار المعارف/ ط١ / ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

(٣) الجامع ١/ ٩٠ ، ٩٢ .

من القراءات، والمتغايرة من اللغات أحرفًا على معنى أن كل شيء منها وجه . . .
وأما النظر فإن حكمة إتيانه على سبعة أحرف التخفيف والتيسير على هذه الأمة في التكلم بكتابهم، كما خفف عليهم في شريعتهم، وهو كالمصرح به في الأحاديث الصحيحة، كقوله : « أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَعُونَتَهُ » وكقوله : « إِنَّ رَبِّي أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ اقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي » ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة أحرف ؛ لأنه ﷺ أرسل للخلق كافة، وألسنتهم مختلفة غاية التخالف، كما هو مشاهد فينا، ومن كان قبلنا مثلنا، وكلهم مخاطب بقراءة القرآن، قال الله ـ تعالى : ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ [المزمل: ٢٠] . فلو كلفوا كلهم النطق بلغة واحدة لشق ذلك عليهم وتعسر ؛ إذ لا قدرة لهم على ترك ما اعتادوا وألفوه من الكلام إلا بتعب شديد، وجهد جهيد، وربما لا يستطيعه بعضهم ولو مع الرياضة الطويلة، وتذليل اللسان، كالشيخ والمرأة، فاقتضى يسر الدين أن يكون على لغات، وفيه حكمة أخرى، وهي أنه ﷺ تحدى بالقرآن جميع الخلق : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ ﴾ الآية [الإسراء :٨٨] فلو أتى بلغة دون لغة لقال الذين لم يأت بلغتهم، لو أتى بلغتنا لأتينا بمثله، وتطرق الكذب إلى قوله ـ تعالى ـ عن ذلك علوًّا كبيرًا [1] .

٥ ـ الفيروز آبادي [ت ٨١٧هـ] اقتصر على القول باللغات ولم يذكر غيره

(١) غيث النفع في القراءات السبع ١٤، ١٥، ١٦ هامش على سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي لابن القاصح / مطبعة مصطفى البابي الحلبي / ط٣/ ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.

فقال : (ونزل القرآن على سبعة أحرف : سبع لغات من لغات العرب ، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، وإن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر ، ولكن المعنى : هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن)(١) .

٦ ـ النيسابوري [ت بعد ٨٥٠هـ] : بعد أن ساق عدة تفسيرات للحديث منها سبع لغات متفقة المعنى . . . وقال بعضهم : إنها سبع قبائل من العرب . . . وقيل : سبع لغات من أي لغة كانت من لغات العرب ، ذكر وجوه القراءات على نحو وجوه ابن قتيبة ، ثم قال : (فهذه الوجوه التي بها اختلفت لغات العرب ، قد أنزل الله باختلافها القرآن متفرقًا فيه)(٢) .

٧ ـ السيوطي [ت ٩١١هـ] : ذكر ثمانية آراء تقول بهذا الرأي ، وهاك الآراء حسب ترتيب السيوطي لها :

أ ـ القول العاشر : إن المراد سبع لغات .

ب ـ العشرون : سبع لغات ، منها خمس من هوازن واثنتان لسائر العرب .

ج ـ الحادي والعشرون : سبع لغات متفرقة لجميع العرب ، كل حرف منها لقبيلة مشهورة .

د ـ الثاني والعشرون : سبع لغات ، أربع لعجز هوازن : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثلاث لقريش .

هـ ـ الثالث والعشرون : سبع لغات ، لغة لقريش ، ولغة لليمن ، ولغة لجرهم ، ولغة لهوازن ، ولغة لقضاعة ، ولغة لتميم ، ولغة طيء .

---

(١) القاموس المحيط ٣/ ١٢٧ [حرف] دار الكتاب العربي / ١٣٩٧هـ ـ١٩٧٧م .

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان . هامش على جامع البيان ١/ ٢٢ .

و ـ الرابع والعشرون : لغة الكعبين : كعب بن عمرو ، وكعب بن لؤي ، ولهما سبع لغات .

ز ـ الخامس والعشرون : اللغات المختلفة لأحياء العرب في معنى واحد ، مثل « هلم » و « تعال » و « هات » و «أقبل » .

ح ـ السادس والعشرون : همزة ، وإمالة ، وفتح ، وكسر ، وتفخيم ، ومد ، وقصر (١) .

ثانيا : في الحديث :

وارتضاه كثير من الباحثين المعاصرين منهم :

١ ـ **الرافعي : [ت ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م] يقول :** (والذي عندنا في معنى الحديث أن المراد بالأحرف : اللغات التي تختلف بها لهجات العرب ، حتى يوسع على كل قوم أن يقرؤوا بلغتهم ، وما كان العرب يفهمون من معنى الحرف في الكلام إلا اللغة) (٢) .

٢ ـ **الدكتور / علي الخولي [ت ٢٠٠٢م]** مال إلى هذا الرأي ؛ تابعًا الزركشي ، فقال : (يميل الزركشي - وأنا معه - إلى الرأي القائل بأنها سبع لهجات ، مع عدم إرادة العدد على حقيقته) (٣) .

٣ ـ **عبد الكريم محمد المدرس [ت ٢٠٠٥م] :** ظهر اختياره جليًا في قوله : [والمختار من تلك المعاني أن معنى نزوله على سبع لغات من لغات العرب

---

(١) الإتقان ١/ ١٣٥ ، ١٤٠ .

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٨٦ دار الكتاب العربي / ط ٩/ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٨٧م .

(٣) حديث الأحرف السبعة دراسة وتحليل ٣٧/ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .

وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، وإن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر ، ولكن معناه أن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن] .

ويقول في موطن آخر : [ومن فوائد اختلاف القراءة وتعدد الحروف : التخفيف والتيسير على هذه الأمة فإن كل إنسان متعود على لهجته من الفتح أو الإمالة أو غيرها من سائر الأحرف والأوجه](1) .

٤ ـ أ/ عبد الحميد العدوي : يرى هذا الرأي إلا أنه يضيف بعدًا جديدًا ، ألا وهو اختلاف الأساليب ، يقول : (اختلاف القراءات المتواترة إنما يرجع إلى سببين اثنين لا ثالث لهما ، وهما اختلاف اللهجات ، أو اختلاف الأساليب)(2) . ويؤكد ذلك في موطن آخر ، فيقول : (اختلاف هيئات الكلمات يرجع تارة إلى اختلاف اللهجات ، وأخرى إلى اختلاف الأساليب ، وكل منهما قد ورد على الكلمة القرآنية ، ولا ثالث لهما ؛ لأن المتتبع لاختلاف القراءات المتواترة لا يجد سببًا لاختلافهما إلا في هذين السببين)(3) . ومثل لاختلاف اللهجات بالإدغام والإظهار ، وتحقيق الهمز وتخفيفه(4) . ومثل لاختلاف الأساليب بكلمة « ضنين » من قول الله ـ تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير : ٢٤] . ويشرح الأسلوب في الآية ، فيقول : (قرئ فيها ﴿ بضنين ﴾ بالضاد المعجمة(5) .

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٩/ ط ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

(٢) حسن البيان ٧٩ .

(٣) السابق ٦٠ .

(٤) السابق ٦٧ وما بعدها .

(٥) قراءة عثمان وابن عباس والحسن وأبي رجاء والأعرج وأبي جعفر وشيبة وجماعة وغيرهم والسبعة ما عدا النحويين وابن كثير . البحر ٨/ ٤٣٥ .

المأخوذ من « الضن » وهو البخل ، وقرئ فيها ﴿ بِظَنِينٍ ﴾ بالظاء المعجمة المشملة [١] . المأخوذ من« الظن » بمعنى الاتهام ، ومعنى القراءتين يرجع إلى عصمة النبي ﷺ عن كل وصف لا يليق به ، وهما في هذه الكلمة الخيانة والكتمان ، وكلاهما مستحيل في حق الأنبياء . . . ومؤدى القراءتين واحد وإن اختلف النطق بهما ؛ طبقا لتعدد الأسلوب ، كذلك فلم يخرجا عن معنى قول رسول الله ﷺ : « كَقَوْلِكَ : هَلُمَّ وَتَعَالَ »[٢] .

تعليق :

يلاحظ في نص وتمثيل أ/ العدوي ما يلي :

١ ـ الاقتصار على القراءات المتواترة ، وإنما يرجع اختلاف القراءات الشاذة ـ أيضًا ـ في الأعم الأغلب ـ إلى ما رجعت إليه المتواترة ، وقد أثبت البحث ذلك .

٢ ـ اختلاف الأسلوب الذي تحدث عنه ـ في الآية ـ يرجع إلى اختلاف لهجات « بضنين » : بخيل بلغة قريش ، و «بِظَنِينٍ » : بمتهم لغة هذيل [٣] .

تعقيب :

فهذه الآراء في القديم والحديث تدل على مصداقية مقولة ابن الجزري ،

---

(١) قراءة عبد الله وابن عباس وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وعائشة وعمر بن عبد العزيز وابن جبير وعروة وهشام بن جندب ومجاهد وغيرهم ومن السبعة النحويان وابن كثير وهي كذلك في مصحف عبد الله . السابق .

(٢) حسن البيان ٧٠ ، ٧١ .

(٣) لغات القبائل لابن سلام هامش على تفسير الجلالين ٢/ ٢٨٦ .

وأكثر العلماء على أنها لغات، ثم اختلفوا في تعيينها [١].

٢ـ مناقشة الاعتراضات على هذا الرأي :

أولًا : يناقش الاعتراض الأول : القائل بأن لغات العرب أكثر من سبعة بما يلي :

١ ـ لفظ « سبع » في اللغة لا يدل على حقيقة العدد، الذي هو واحد فوق الستة ـ فقط ـ بل له دلالتان أخريان مقصودتان، هما :

الدلالة الأولى :

الكثرة والتضعيف، يقول الأزهري : (والعرب تضع التسبيع موضع التضعيف، وإن جاوز السبع، والأصل فيه قول الله ـ جل وعز : ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة : ٢٦١]، ثم قال النبي ﷺ : «الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سُبْعَمائِةٍ» قلت : وأرى قول الله جل ثناؤه ـ لنبيه ﷺ : ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة : ٨٠] من باب التكثير والتضعيف لا من باب حصر العدد، ولم يرد الله ـ جل ثناؤه ـ أنه عليه السلام إن زاد عن السبعين غفر لهم، ولكن المعنى : (إن استكثرت من الدعاء والاستغفار للمنافقين لم يغفر الله لهم) [٢]. وعلاقة هذه الدلالة بالقراءات واللهجات، بينها ابن الجزري، فيقول : (ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل المراد السعة والتيسير، وأنه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب من حيث إن الله تعالى أذن لهم في ذلك، والعرب يطلقون

---

(١) النشر ١/ ٢٤ .

(٢) تهذيب اللغة ٢/ ١١٦ [سبع].

لفظ «السبع» و «السبعين» و «السبعمائة» ولا يريدون حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر)(١) .

الدلالة الثانية :

الكمال والتمام، قال ابن المظفر [الليث ت ١٨٠ هـ] (أرادوا بقولهم : لأعملن بفلان عمل سبعة، المبالغة وبلوغ الغاية)(٢) . وقال الرافعي : (وإنما جعلها «سبعة» رمزًا إلى ما ألفوه من معنى الكمال في هذا العدد، خاصة فيما يتعلق بالإلهيات، كالسماوات السبع والأرضين السبع، والسبعة أيام)(٣) .

لكن لا بد أن أنوه ـ هنا ـ إلى أن الحروف التي نزل بها القرآن يمكن أن تزيد على السبعة العددية، كما أنها تنقص، والدليل على النقصان : (وتحتمل السبعة ـ أيضًا ـ عند دلالتها على التكثير أن تقل الأحرف عن السبعة المحددة إلى أدنى ما يعد كثرة في عرف العرب ونحن نعلم أدنى الدلالة لجمع القلة هي الدلالة على ثلاثة، وقد قيل بنزول القرآن على خمسة أحرف، كما ورد أن من التابعين من كان يقرأ بخمسة أحرف وبثلاثة وبحرفين)(٤) . فإذا كان ـ هناك بالفعل ـ قراءة بأقل من سبعة ـ فلا مانع من إرادة الزيادة على سبعة، ويكون القول بقلة اللغات المفرقة في القرآن الكريم : (وقعت في القرآن الكريم ـ فعلا ـ ألفاظ من لغات عربية تقارب الأربعين منسوبة إلى قبائل وإلى أمكنة،

---

(١) النشر ١/ ٢٥، ٢٦ .

(٢) التهذيب ٢/ ١١٦ [سبع] .

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٦٨ .

(٤) حديث نزول القرآن ١٨، ٣٧، ٤٨ .

وجاء ذلك في كتاب اللغات في القرآن لابن حسنون [ت ٣٨٦هـ] . . . وفي هذا ـ وحده ـ تفنيد للقول بأن الأحرف السبعة ألفاظ من سبع لغات متفرقة في القرآن الكريم [١] . (القول باللغات المفرقة في القرآن لا يمكن أن يكون تفسيرًا للأحرف السبعة ـ كما أن اللهجات العربية أكثر من سبع مما يعجز عن إحصائه ـ كما قال الطبري ـ وقد أسلفنا أنه نسبت ألفاظ قرآنية إلى أكثر من ثلاثين لهجة منسوبة إلى قبائل ، كما نسبت نحو سبع أخرى إلى بلاد)[٢] .

لا يتناسب مع قصد هذه الزيادة ، وعدم إرادة حقيقة العدد ، ويقول د / عبد الغفار هلال : (ويبدو أن المراد بالسبع أوسع مما هو مدون في كتب القراءات عن السبع المعروفة ، وليس معنى الاتفاق في لفظ العدد سبع أنها «سبعة» أوجه على التحديد ، فلفظ «سبع» في الحديث لا مفهوم له ، فهو بمعنى الكثرة المطلقة ، لأن هذا العدد يدل على الكثرة في اللغات السامية)[٣] .

٢ ـ **دلالة بعض الأحاديث** : لقد دلت بعض الأحاديث على أن عدد «سبع» ليس مرادًا ، وإنما المراد السعة والتخفيف والتيسير ، من هذه الأحاديث :

أ ـ ما ذكره الإمام أحمد [ت ٢٤١هـ] والطيالسي [ت ٢٠٤هـ] والطبري [٤] .

ب ـ ما ذكره ابن الجزري : (لما أتاه جبريل بحرف واحد ، قال له ميكائيل :

---

(١) حديث نزول القرآن ٣٧ ، ١٨ ، ٤٨ .

(٢) السابق .

(٣) في مقال بعنوان : القراءات القرآنية وصلتها باللهجات / منشور بمجلة اللغة العربية / عدد ١٢ / بالرياض ١٤٠٥هـ .

(٤) ينظر ص ١١ .

استزده ، وأنه سأل الله ـ تعالى ـ التهوين على أمته ، فأتاه على حرفين ، فأمره ميكائيل بالاستزادة ، وسأل الله التخفيف ، فأتاه بثلاثة ، ولم يزل كذلك حتى بلغ سبعة أحرف)[١] .

ج ـ ما ذكره ابن الجزري أيضًا عن أبي بكرة : (فَنَظَرْتُ إِلَى مِيكَائِيلَ ، فَسَكَتَ فَعَلِمتُ أَنَّهُ قَدِ انتَهَتِ الْعِدَّةُ)[٢] .

ويعلق الدكتور جبل على عبارة : (فَعَلْمْتُ أَنَّهُ قَدْ انْتَهَتِ الْعِدَّةُ) فيقول : فإذا تجاوزنا عن عبارة (فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ انتَهَتِ الْعِدَّةُ) على أنها مدرجة[٣] . بقيت دلالة السبعة على مجرد التكثير مفتوحة وحينئذ فهي تحتمل العدد المحدد ، كما تحتمل الزيادة عليه ، وقد جاء في عبارة لسيدنا عليّ : (نزل القرآن على سبعة أحرف وعلى أكثر من ذلك وعلى أكثر من بضعة وعشرين حرفًا إذا كان جائزًا في كلام العرب)[٤] .

ويقول أ/ العدوي : (وقد يعرض ـ هنا ـ علينا سؤال : هل المراد من

---

(١) النشر ١/ ٢٦ .

(٢) السابق .

(٣) الإدراج زيادة في لفظ الحديث تكون من كلام الراوي فيحسبها من يسمعها منه مرفوعة في الحديث فيرويها كذلك (انظر مقدمة ابن الصلاح تح عائشة عبد الرحمن ٣٠٨ والباعث الحثيث لأحمد شاكر ط ٣١/ ٦٤ ، وقد ورد حديث الملكين والاستزادة في ست روايات في الطبري . . . دون أن تذكر عبارة : (فعلمت أنه قد انتهت العدة) في أي من تلك الروايات ، ولا في سائر البضع والأربعين رواية التي أوردها الطبري مما يرجح أنها مدرجة . حديث نزول القرآن د/ جبل ٣٧ .

(٤) حديث نزول القرآن ٣٧ .

السبعة أحرف في هذا الحديث المحصور بين الستة والثمانية ، أو يراد به مطلق الكثرة؟

فنقول : ذهب جمهور العلماء إلى أن المراد به العدد المنحصر بين الستة والثمانية ، وذهب القاضي عياض [ت ٥٤٤هـ] فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، وتبعه بعضهم أن المراد به مطلق الكثرة) وبعد أن ساق أدلة الجمهور وأدلة القاضي ، يلخص ذلك فيقول : وقد يعكر صفو قول القاضي عياض ومتبعيه دليلان : الأول دليل نقلي ، والثاني دليل عقلي مستنبط من لفظ الحديث وبيان ذلك فيما يأتي :

الدليل النقلي :

الذي استدل به جمهور العلماء ، وهو الحديث الذي سجلناه منذ قليل الذي أخرجه الإمام أحمد ونقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري والسيوطي في الإتقان ، أن النبي ﷺ حين قال له جبريل : « **اقرأ القرآن على سبعة أحرف** » قال : «**فنظرت إلى ميكائيل فسكت فعلمت أن العدة قد انتهت** » قال السيوطي : فهذا يدل على انحصار العدد في السبعة .

الدليل الثاني :

العقلي المستنبط من الحديث هو أن لفظ السبعة قد أضيف إلى لفظ أحرف وهو أي لفظ أحرف جمع قلة فلو أريد بلفظ السبعة مطلق الكثرة لزم أن يضاف إلى جمع كثرة فيقال : على سبعة حروف ، وهذا يدل أيضًا على انحصار العدد .

* وفي رأينا أن للقاضي عياض ومتبعيه أن يجيبوا برد هذين الدليلين إلى ما ذهبوا إليه فيقول :

أما عن الدليل الأول : فليس معناه انحصار العدد ، ولكن معناه أن النبي ﷺ قال له جبريل : على سبعة أحرف ، عرف أولًا أن هذا أي السبعة قد يراد به العدد المحصور فيطلب الزيادة عليه فنظر إلى ميكائيل ليرى إشارة منه يطلب الزيادة عليه فنظر إلى ميكائيل فسكت علم أن لفظ السبعة غير مراد به الانحصار فقال : فعلمت أن العدة قد انتهت إلى حد الكثرة التي شرعت تيسيرًا وتخفيفًا على الأمة في قراءة القرآن الكريم وبهذا التقرير لن يكون في الدليل النقلي المتقدم ما يفيد الانحصار في العدد الذي بين الستة والثمانية[1] .

وأما عن الدليل الثاني : وهو إضافة لفظ السبعة إلى الأحرف فليس فيه ما يدل على الانحصار المذكور ؛ لأن جمع القلة إذا صاحب لفظًا يفيد الكثرة في السياق أفاد بطريق التبع الكثرة ، ودليله قوله تعالى : ﴿ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾ [المائدة :٦] فقد عطف لفظ الأيدي ، وهو جمع قلة على لفظ وجوه وهو جمع كثرة ولا بد أن يراد به جمع الكثرة ليناسب جمع الكثرة قبله ، وأيضًا إذا أريد بلفظ السبعة مطلق الكثرة فلن يوجد أي مانع من إضافته إلى جمع القلة ؛ لأن جمع القلة المضاف إليه صار بإضافته إلى لفظ السبعة المراد به مطلق الكثرة جمع كثرة أيضًا ، وله نظير في القرآن أيضًا في قوله تعالى في الآية السابقة الذكر في سورة لقمان [٢٧] : ﴿ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ ﴾ فقد أضيف لفظ السبعة المراد به مطلق الكثرة كما بينا ذلك منذ قليل إلى لفظ (أبحر) وهو جمع قلة فلو منعت إضافة لفظ السبعة المراد به مطلق الكثرة إلى

---

(١) ورأي فضيلة أستاذنا الأستاذ الشيخ صالح موسى شرف رد هذا الدليل لضعفه ولصراحة دليل الجمهور في حديث أبي بكرة وهذا مما يرجح رأي الجمهور .

جمع القلة لما صح ذلك في القرآن الكريم فورودها في القرآن دليل قاطع على صحة هذه الإضافة وبهذه الأدلة التي أيدنا بها مذهب القاضي عياض ومتبعيه كان مذهبه مساويًا لمذهب الجمهور فليختر القارئ في هذا البحث أي مذهب شاء)[1] .

ثانيا : وأما الاعتراض الثاني :

القائل بأن اختلاف عمر وهشام ﵄ وهما من قبيلة واحدة ـ يدل على أن الأحرف السبعة غير اللغات ، فيناقش بما يلي :

١ ـ هذا من تعدد العرضات على رسول الله ﷺ يقول ابن عطية : [أباح الله ـ تعالى ـ لنبيه ﵇ هذه الحروف السبعة ، وعارضه بها جبريل ﵇ في عرضاته على الوجه الذي فيه الإعجاز وجوده الرصف ، ولم تقع الإباحة في قوله ﵇ : ﴿ فَاقْرَءُوا ﴾ ﴿ مِنْهُ ﴾ بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ، ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن ، وكان معرضًا أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله ، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبي ﷺ ليوسع بها على أمته ، فقرأ مرة لأُبّي بما عارضه به جبريل [صلوات الله عليهما] ، ومرة لابن مسعود بما عارضه به ـ أيضًا ـ وعلى هذه تجيء قراءة عمر بن الخطاب لسورة الفرقان ، وقراءة هشام بن حكيم لها ، وإلا فكيف يستقيم أن يقول النبي ﷺ في كل قراءة منهما ، وقد اختلفتا : « هَكَذَا أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ » هل ذلك إلا أنه أقرأه بهذه مرة وبهذه مرة؟)[2] .

---

(١) حسن البيان ٤٩ وما بعدها .

(٢) المحرر ١/ ٤٧ ، والجامع ١/ ٩٤ ، ٩٥ .

٢ ـ تصويب النبي ﷺ لقراءة عمر، وقراءة هشام، يجعلنا نقول: إن الخلاف بينهما ليس خلافًا في الأحكام، لأنه محال أن يصوب النبي ﷺ خلافًا في الأحكام فيبقى كون الخلاف لهجيًا، وتمسك كل واحد بما عنده مما سمعه من النبي ﷺ من منطوق يتساوق واللهجات.

٣ ـ بالنظر في ترجمة القراء السبعة وجدنا أن قراءة عمر بن الخطاب ﷺ قد تلقاها ابن كثير وأبو عمرو وقرآ بها[(١)]. فإذا بحثنا في قراءة هذين العالمين، فإننا نجد مواطن اتفاق (مع أن البيئة اختلفت، ابن كثير في مكة، وأبو عمرو في البصرة بالعراق) ومواطن اختلاف، ومعظم الالتقاء والافتراق منسوب إلى لغته:

*** فمن مواطن الالتقاء والاتفاق:**

أ ـ قوله: « الرعب » قرأه ابن عامر والكسائي بضم العين ـ حيث وقع، وأسكن الباقون، وهما لغتان فاشيتان، كالسحت والسحت[(٢)].

ب ـ وقوله: « بالعدوة »، و «بالعدوة» قرأه ابن كثير وأبو عمرو: بكسر العين فيهما، وضمهما الباقون وهما لغتان)[(٣)]. فالضم لغة تميم، والكسر لغة أهل الحجاز[(٤)].

ج ـ وقوله: «والوتر» قرأه حمزة والكسائي بكسر الواو، وقرأ الباقون

---

(١) الإتحاف ١/ ٢١، ٢٢.

(٢) الكشف ١/ ١٦٠.

(٣) السابق ١/ ٤٦١.

(٤) ينظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ٢/ ٢٧٧/ شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون/ دار التراث/ ط٣ والبحر ٤/ ٤٩٩.

(منهم ابن كثير وأبو عمرو) بالفتح ، وهما لغتان : والفتح لغة أهل الحجاز ، والكسر لغة بني تميم)[١] .

*** ومن مواطن الاختلاف والافتراق :**

أ ـ يقول أبو حيان : (ولغة تميم تحقيق الهمزتين ، وفي نحو «أأنذرتهم» وبه قرأ الكوفيون وابن ذكوان [ت ٢٤٢هـ] وهو الأصل ، وأهل الحجاز لا يرون الجمع بينهما ـ طلبًا للتخفيف ـ فقرأ الحرميان وأبو عمرو وهشام [ت ٢٤٥هـ] بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية ، إلا أن أبا عمرو وقالون [ت ٢٢٠هـ] وإسماعيل بن جعفر [ت ١٨٠هـ] عن نافع وهشام يدخلون بينهما ألفًا ، وابن كثير لا يدخل ، وروى تحقيقًا عن هشام وإدخال ألف بينهما ، وهي قراءة ابن عباس وابن أبي إسحاق ، وروى عن ورش [ت ١٩٧هـ] كابن كثير وكقالون وإبدال الهمزة الثانية ألفًا)[٢] .

ب ـ قوله : ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ ﴾ [طه :٦٣] قرأ ابن كثير وحفص ، قالوا « إنْ » بتخفيف « إن » وشدد الباقون ، وقرأ أبو عمرو : « هذين » بالياء ، وقرأ الباقون بالألف [٣] . وجاء في تعليل « هذان » : بالألف أنها منصوبة به على لغة لبني الحارث بن كعب[٤] .

وزاد أبو شامة : كنانة وخيثم وزبيد وبني العنبر وبني الهجيم ومراد

---

(١) الكشف ٢/ ٣٧٢ .

(٢) البحر ١/ ٤٧ .

(٣) الكشف ٢/ ١٩٩ .

(٤) السابق .

وعذرة)[١] . ثم يقول : (... هذه سبعة أوجه صالحة لتعليل لغة من لا يقلب ألف هذا ، وهي مفرقة في كتب جماعة من المصنفين ، يوردونها على أنها وجوه في الاحتجاج لهذه القراءة ، وليست الحجة إلا في كونها لغة لبعض العرب ، إذ لو لم يثبت كونها لغة لما ساغ لأحد برأيه أن يفعل ذلك لأجل هذه المعاني أو بعضها فترى بعضهم يقول في تعليل هذه القراءة خمسة أقوال ، وبعضهم يقول : ستة ، وبعضهم بلغ بها تسعة ـ وليس لها عندي ـ إلا ثلاثة أقوال ذكرنا منها قولًا واحدًا ، وهو أنها لغة هؤلاء القوم ، ووجهنا هذه اللغة بوجوه سبعة)[٢] .

ج ـ واختلف في « لا يلتكم » فأبو عمرو ويعقوب بهمزة ساكنة بعد الياء ، وقبل لام ، وافقهما اليزيدي والحسن ، ويبدلهما أبو عمرو بخلفه على أصله ، ووافقه اليزيدي من « ألته » بالفتح « يأليه » بالكسر ، كصدف يصدف لغة غطفان ، والباقون (منهم ابن كثير) بكسر اللام ، من غير همز ، من « لاته » ، « يليته » كباعه يبيعه لغة الحجاز ، وعليها صريح الرسم)[٣] .

*** فهذه النصوص وغيرها كثير تثبت ما يلي :**

أ ـ مدى ارتباط القراءات باللهجات ، فالعلاقة وثيقة ، والصلة وشيجة ، ولذلك نجد أبا جعفر النحاس [ت ٣٣٨هـ] يعلق على قراءة « هذان » فيقول : (هذا الوجه (وهو حمل القراءة على اللهجة) من أحسن ما حملت عليه الآية ؛ إذ

---

(١) إبراز المعاني ٥٩١ ، ٥٩٢ .

(٢) السابق ، ومن أراد التفصيل في الوجوه والنسبة فليرجع إليه .

(٣) الإتحاف ٢/ ٤٨٧ .

كانت هذه اللغة معروفة قد حكاها من يرتضي علمه ، وصدقه ، وأمانته ، منهم أبو زيد الأنصاري [ت ٢١٥هـ] ، وهو الذي يقال إذا قال سيبويه [ت ١٨٠هـ] : حدثني من أثق به فإنما يعنيه ، وأبو الخطاب الأخفش [ت ١٧٧هـ] ، وهو رئيس من رؤساء أهل اللغة ، وروى عنه سيبويه وغيره)[١] .

ب ـ مخالفة ابن كثير لأبي عمرو في حروف ، ومصدر قراءتهما ، وهو عمر ابن الخطاب ﷺ الذي اخذ عن النبي ﷺ وربما يقال : يتعدد مصادر تلقي القراءة فلم يأخذا (بطريق مباشر) عن عمر ـ فقط ـ بل عنه وعن غيره !

فيقال : قراءته وقراءة غيره حملت في طياتها تلك اللهجات التي نزل القرآن وقراءاته من أجل أهلها ، والذين كانوا سفراء هذا الدين والسير به في كل مكان ، أو يأتي إليه الوفود المختلفة فتجد الدين قد مثل كثيرًا من لهجاتهم .

٤ ـ تحول القارئ من بيئة الميلاد إلى بيئة النشأة ، يقول الصفاقسي : (عمر ابن الخطاب وهشام بن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان ، وهما قرشيان ، لغتهما واحدة ، قلت : لا يلزم من كونهما من قبيلة واحدة أن تكون لغتهما واحدة ، فقد يكون قرشيًا مثلًا ويتربى في غير قومه ، فيتعلم لغتهم ، ويتكلم بها ،وهو كثير فيهم ، وفي الحديث : (أنا أعربكم ، أنا من قريش ، ولساني لسان سعد بن بكر) وفيه أيضًا : (أنا أعرب العرب ولدت من قريش ، ونشأت في بني سعد ، فأنّي يأتيني اللحن) وقال تعالى : ﴿وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل :١٠٣] فعم العرب ، ولم يخص قبيلة)[٢] .

---

(١) إبراز المعاني ٥٩١ .

(٢) غيث النفع في القراءات السبع ، هامش على سراج القارئ ١٦ .

٥ ـ تعدد أنماط نطق الكلمة الواحدة في القبيلة الواحدة من باب التأثر والتأثير أو من باب تداخل اللغات، من ذلك :

أ ـ الزعم : مصدر « زعم يزعم » وقد جاءت في فائه الحركات الثلاث : الضم والكسر والفتح، وقد عزا ابن منظور الضم لتميم والفتح للحجاز فقال : [الزُّعْمُ تميمية والزَّعْمُ حجازية][١] . في حين عزو أبي حيان لتميم الكسر [٢] .

ب ـ « العدوة » جانب الوادي، وفي عينها الضم والكسر، وبينما ينسب الفيومي الضم لقريش والكسر لقيس [٣] . يأتي السيوطي ليعزو الضم لتميم [٤] . وأبو حيان ليعزو الكسر إلى أهل الحجاز [٥] .

فالقبيلة الواحدة يمكن أن تنطق بالوجهين على اعتبار التأثر والتأثير، أو بعضهم ينطق بوجه والبعض الآخر ينطق بوجه آخر، وقد قرر ابن جني هذا المبدأ حين قال : (باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدًا، من ذلك قول لبيد [ت ٤١هـ] : [الوفير]

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نُمَيْرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلاَلِ

وقال [طفيل الغنوي ت ١٣ ق هـ] : [البسيط]

أَمَّا ابْنُ طَوْقٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ كَمَا وَفَى بِقِلاَصِ النَّجْمِ حَادِيَها

---

(١) اللسان ٣/ ١٨٣٤ [زعم] .

(٢) البحر المحيط ٤/ ٢٢٧ .

(٣) المصباح المنير ٥٤٣، ٥٤٤ [عدا]، المطبعة الأميرية / القاهرة/ ط٥ / ١٩٢٢م .

(٤) المزهر ٢/ ٢٧٧ .

(٥) البحر ٤/ ٤٩٩ .

وقال [يعلى الأزدي الأحول ت ٩٠هـ] : [الطويل]

فَظَلْتُ لَدَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أُخِيلُهُـوا   وَمِطْـوَايَ مُـشْتَقَانِ لَـهُ أَرِقَـانِ

فهاتان لغتان، أعني إثبات الواو في « أخيلهوا » وتسكين الهاء في قوله : « له » لأن أبا الحسن [الأخفش الوسط ت ٢١٠هـ] زعم أنها لغة لأزد السراة، وإذا كان كذلك فهما لغتان، وليس إسكان الهاء في « له » عن حذف لحق بالصنعة الكلمة، لكن ذاك لغة . . . ومن ذلك قولهم : بغداد وبغدان، وقالوا : ـ أيضًا ـ مغدان، وطبرزل وطبرزن، وقالوا للحية، أيْم وأيْن، وأعْصُر ويَعْصُر، أبو باهلة، والطِّنِفِسة والطُّنْفُسة، وما اجتمعت فيه لغتان أو ثلاث أكثر من أن يحاط به . . . ورويت عن الأصمعي [ت ٢١٦هـ]، قال : اختلف رجلان في« الصقر » فقال أحدهما :« الصَقْر » بالصاد، وقال الآخر : « السقْر » بالسين، فتراضيا بأول وارد عليهما، فحكيا له ما هما فيه، فقال : لا أقول كما قلتما، إنما هو « الزقْر » أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين أُخريين معها)[1] .

*** نلاحظ في هذا النص ما يلي :**

١ ـ أن الشعر والنثر قد حملا أكثر لهجة، وإذا كان الأمر كذلك، فإن القراءات القرآنية قد حملت ما حمله الشعر والنثر، والدليل على ذلك كثير، نأخذ منه رواية الأصمعي السابقة في « الصقر » فإنه قيل بثلاث لهجات :السين، والصاد، والزاي، فالمثيل لها في القرآن كلمة : (﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ صراط) [الفاتحة ٦، ٧] فقد

---

(١) الخصائص لابن جني ١/ ٣٧٠ وما بعدها / تح محمد النجار/ دار الكتب المصرية / ط٢/ ١٣١٧هـ/ ١٩٥٢م .

جاءت فيهما لهجات، وحكتها قراءات، ولنستمع إلى أبي حيان، وهو يبين ذلك الأمر، فيقول: (الصراط: الطريق، وأصله بالسين، من السرط، وهو اللقم، ومنه سمي الطريق لقما، وبالسين على الأصل قرأ قنبل [ت ٢٩١هـ] ورويس [ت ٢٣٨هـ]، وإبدال سينه صادًا هي الفصحى، وهي لغة قريش، وبها قرأ الجمهور، وبها كتبت في الإمام، وزايا لغة رواها الأصمعي عن أبي عمرو، وإشمامها زايًا لغة قيس، وبه قرأ حمزة ـ بخلاف وتفصيل ـ عن رواته، وقال أبو على [الفارسي ت ٣٧٧هـ] وروى عن أبي عمرو السين والصاد والمضارعة بين الزاي والصاد، ورواه عنه العريان بن أبي سفيان، وروى الأصمعي عن أبي عمرو أنه قرأها بزاي خالصة، قال بعض من اللغويين: ما حكاه الأصمعي في هذه القراءة خطأ منه، إنما سمع أبا عمرو يقرؤها بالمضارعة فتوهمها زايًا، ولم يكن الأصمعي نحويًا فيؤمن على هذا، وحكى هذا الكلام أبو علي عن أبي بكر بن مجاهد، وقال أبو جعفر الطوسي [ت ٤٦٠هـ] في تفسيره: وهو إمام من أئمة الإمامية، الصراط: بالصاد: لغة قريش، وهي اللغة الجيدة، وعامة العرب يجعلونها سينًا، والزاي لغة لعذرة وكعب بن القين، وقال أبو بكر بن مجاهد: وهذه القراءة تشير إلى أن قراءة من قرأ بين الزاي والصاد تكلف حرف بين حرفين، وذلك ضعيف على اللسان، وليس بحرف ينبني عليه الكلام، ولا هو من حروف المعجم، لست أدفع أنه من كلام فصحاء العرب، إلا أن الصاد أفصح وأوسع [(١)].

---

(١) البحر المحيط ١/ ٢٥ ويراجع الحجة في علل القراءات السبع لأبي على الفارسي ١/ ٣٦/ تح. على النجدي ناصف وآخرين / الهيئة المصرية للكتاب / ط٢ / ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، والإتحاف ١/ ٣٦٥.

فهنا نلاحظ ما يلي :

أ ـ ارتباط القراءات باللهجات .

ب ـ يطعن بعض العلماء على القراءات ، وليس ـ هنا ـ مجال للطعن ؛ لأن القراءات سنة متبعة ، وهي ممكنة في الواقع النطقي الفعلي على الألسنة .

ج ـ أن اللهجات تضمنت إبدالًا بين الحروف والحركات .

٦ ـ تاريخ إسلام الرجلين مختلف ، فبعد أن قرر أ/ عبد الحميد العدوي أمرين ، وهما :

أضاة بني غفار ، وهو موضع ماء قرب المدينة المنورة .

أ ـ أن الترخيص بقراءة القرآن على الأحرف السبعة لم يكن بمكة ، بل في المدينة بدليل :

١ ـ الحديث الوارد عن طريق أُبي بن كعب وجاء فيه : كان النبي ﷺ عند أضاة بني غفار ، وهو موضع ماء قرب المدينة المنورة .

٢ ـ وكذلك الأحاديث الواردة في اختلاف الصحابة في المسجد ، ولم يكن للرسول ﷺ مسجد إلا بالمدينة [١] .

ب ـ إن نزول سورة الفرقان كان بمكة عند الجمهور [٢] .

يقول : (كان عمر بن الخطاب ممن أسلم قديمًا منذ بدء الدعوة الإسلامية ، وحفظ ما حفظ من القرآن من السور المكية على الحرف الأول الذي أنزل

---

(١) حسن البيان ٢٢ .

(٢) السابق ٥٧ .

عليه القرآن أول ما أنزل ، وهو حرف قريش ، ثم هاجر إلى المدينة ، وحفظ ما حفظ من السور المدنية ... وأسلم هشام بن حكيم بن حزام مع أبيه ، يوم فتح مكة ، وهاجر مع أبيه في نهاية السنة الثامنة من الهجرة ، وحفظ ما حفظ من القرآن بعد إنزال الترخيص بقراءة القرآن على سبعة أحرف ، وهو السبب الوحيد المؤدي إلى اختلاف قراءته لسورة الفرقان عن قراءة عمر لها) [(١)] .

* ويرجع هذا التفسير إلى التفسير الأول الذي يقول بتعدد العرضات على رسول الله ﷺ .

٧ ـ اختلاف عمر وهشام رضي الله عنهما كان من باب اختلاف الأساليب ، يقول أحد الباحثين : (فما هو سبب التغيير الذي حدث في قراءة هشام بن حكيم عن قراءة عمر رضي الله عنه أهو في اختلاف اللهجات ، أو في اختلاف الأساليب ، أو فيهما ـ معًا ؟ هذه احتمالات ثلاثة ، وإنما لجأنا إلى هذه الاحتمالات ، لأننا لم نتبين الكلمات التي اختلفت القراءة فيها في قراءة كل منهما ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : (فصل : لم أقف في شيء من طرق حديث عمر على تعيين الأحرف التي اختلف فيها عمر وهشام من سورة الفرقان) [(٢)] . ثم يجيب فيقول : (يؤخذ من قول أمير المؤمنين ـ عمر بن الخطاب ـ على حروف كثيرة أنها من اختلاف الأساليب ، لأن عدد الكلمات المختلف فيها بين القراء العشر المتواترة قراءتهم أربع وعشرون ، أي في سورة الفرقان منها ست عشرة كلمة من اختلاف الأساليب وثماني كلمات من اختلاف اللهجات ، فإذا نظر إلى قوله رضي الله عنه : (على حروف كثيرة) كانت الكلمات الكثيرة

---

(١) حسن البيان ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) السابق ٦٠ ، ٦١ .

هي المختلفة الأساليب ، والكلمات القليلة هي المختلفة اللهجات) ثم يقول عن ابن حجر : بعد أن سرد القراءات في سورة الفرقان : (فتكون جملتها نحوا من مائة وثلاثين موضعًا ، لأن جميع ما سرده من القراءات في سورة الفرقان ليس فيه من المتواتر سوى ما ذكرته فقط ، وباقي ما ذكره كله شاذ ولا يثبت به قرآن ولو أن الحافظ ـ رحمه الله ـ اكتفى بسرد القراءات المتواترة لأراح ضمير المؤمنين الصادقين الثابتين على عقيدتهم ، كما يريح ضمير الآخرين الذين يوقعهم هذا العدد في شك في كتاب الله العزيز) [١] .

* ويمكن مناقشته بما يلي :

١ ـ لماذا يقتصر على المتواتر ؟ أليس الشاذ من الأحرف السبعة ؟ ألم يرد عن الصحابة أنهم قرؤوا به في يوم من الأيام ؟ والشاذ إن كان شذ في الاستعمال ، فلم يشذ عن الاحتجاج به في مجال اللغة ، ونقول : قرئ بكذا .

٢ ـ لم يكتف ابن حجر بسرد المتواتر ـ فقط ـ لعلمه بأن هذه القراءات كلها متواترها وشاذها من الأحرف السبعة ، والمؤمن يقول : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧] .

ثالثًا : وأما الاعتراض الثالث : القائل بأن هناك روايات صحيحة دالة على أن الأحرف السبعة هي سبعة أوجه من الألفاظ المختلفة بمعانٍ متفقة ، فيناقش بما يلي :

لا مانع من إرادة هذا المعنى لصراحة بعض الروايات بذلك ، لكن لا يمكن أن يكون هو كل المراد ، بل نقول : إنه مراد ، وغيره ـ أيضًا ـ مراد ، وذلك

---

(١) حسن البيان ٨٠ ، ٨١ .

لصراحة ووضوح بعض الروايات ـ أيضًا ـ على إرادة غير الترادف، من ذلك:

١ ـ ما رواه الطبري عن أبي العالية [ت ٩٠هـ]، قال: قرأ على رسول الله ﷺ من كل خمس رجل، فاختلفوا في اللغة فرضي قراءتهم كلهم، فكان بنو تميم أعرب القوم [(١)].

٢ ـ ذكر النيسابوري عن رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ وُسِّعَ لِي أَنْ أُقْرِئَ كُلَّ قَوْمٍ بِلُغَتِهِمْ» [(٢)].

٣ ـ ما روى عن أنس بن مالك أن عثمان بن عفان ﷺ قال للنفر الذين كلفوا بكتابة القرآن: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم، ففعلوا» [(٣)].

٤ ـ روى ابن حجر: (أن عمر بن الخطاب ﷺ أنكر على ابن مسعود ﷺ قراءته: ﴿عَتَّى حِينٍ﴾ أي: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥] وكتب إليه: إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل) [(٤)].

٥ ـ عن صفوان بن عسال أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ﴾ [مريم:١٣] فقيل له: يا رسول الله تميل، وليس هي لغة قريش؟ فقال: (هي لغة الأخوال بني سعد) [(٥)].

---

(١) جامع البيان ١ / ١٥.

(٢) هامش جامع البيان ١ / ٢١.

(٣) صحيح البخاري حديث رقم ٤٩٨٤.

(٤) فتح الباري ١٩ / ٣٢.

(٥) الإتقان ١/ ٣٥٦.

ومن المعروف أن الإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس [١].

٦ ـ ما روى عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قرأ علـى المنبر : ﴿ **ونادوا يا مال** ﴾ بالترخيم ، فقيل له : ﴿ **يَا مَالِكُ** ﴾ [الزخرف : ١٣٥] فقال : تلك لغة وهذه أخرى [٢]. وروى أن قبيلة طيء كانت تميل إلى قطع اللفظ قبل تمامه ، فيقولون : أبا الحكا ، ويريدون : أبا الحكم ، وهذه الصفة تشترك بالترخيم في أنها حذف آخر الكلمة [٣].

رابعًا : وأما الاعتراض الرابع : القائل بأن الإلزام بلهجة معينة ، أو التخصيص بلهجات بدون مخصص ينافي روح الإسلام ، فيجاب عنه بما يلي :

* لفظ «سبع» ـ كما سبق ـ يمكن فيه إرادة حقيقة العدد ، فيكون سبع قبائل لها وزنها في مجال الفصاحة والبلاغة ، ولا نقول بعد فصاحة القبائل الأخرى ، ولكن من باب الأكثر شيوعًا وانتشارًا ، وإذا قلنا بالأفصح فلا يمنع ذلك من وجود الفصيح ، أو بعبارة أخرى : وجود الأقوى لا يمنع من التحدث بالضعيف ، يقول ابن جني : (فهذا يدلك على أنهم قد يتكلمون بما غيره عندهم أقوى منه ، وذلك لاستخفافهم الأضعف ، إذ لولا ذلك لكان الأقوى أحق وأحرى، كما أنهم لا يستعملون المجاز إلا لضرب من المبالغة

---

(١) السابق ١ / ٢٥٥ .

(٢) شواذ القرآن لابن خالويه ١٣٦ وأضاف القرطبي أنها قراءة ابن مسعود والنبي ﷺ الجامع ٩ / ٦١٦٤ .

(٣) في اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس ١٣٤ .

إذ لولا ذلك لكانت الحقيقة أولى من المسامحة)[١] .وتعليق ابن جني بهذا الكلام كان على قراءة قرآنية ، يقول : (وذلك أن من مذهبهم أن يستعملوا من اللغة ما غيره أقوى في القياس منه ، ألا ترى إلى حكاية أبي العباس [المبرد ٢٨٦هـ] عن عمارة [ابن عقيل ت٢٣٩هـ] قراءته : ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يس : ٤٠] بنصب «النهار» وأن أبا العباس قال له : ما أردت ؟ فقال : أردت «سابقٌ النهار» قال أبو العباس : فقلت له : فهلا قلته ؟ فقال : « لو قلته لكان أوزن أي أقوى»[٢] .

ويذكر ابن جني ـ أيضًا : (ومن ذلك قراءة أُبي بن كعب : ﴿مَنْ هَبَّنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا﴾ ثم يقول : (قد أثبت أبو حاتم عن ابن مسعود : «من أهبنا» بالهمزة ، وهي أقيس القراءتين ، يقال : هبَّ من نومه ، أي انتبه ، وأهبته أنا ، أي أنبهته ، قال [جميل بثينة ت ٨٢هـ] : [الطويل]

أَلاَ أَيُّهَا النُّوَامُ وَيحكُمُ هُبوا ... أُسَائِلُكُمْ : هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ

فأما «هبني» أي أيقظني فلم أر لها في اللغة أصلًا ، ولعلها لغة قليلة وهي ـ مع حسن الظن ـ بأبي ـ مقبولة ، وقد أثبتها ـ أبو حاتم ـ أيضًا][٣] .

فالتحدث بالضعيف والقليل وتركهم القوي والكثير مذهب من مذاهب العرب ، وقد وردت القراءات شاهدة على ذلك ، إلا أنها من باب الرواية وليست من باب الدراية .

---

(١) الخصائص ١ / ٣٧٣ .

(٢) السابق .

(٣) المحتسب ٢ / ٢١٤ .

وإذا أريد غير حقيقة العدد فليس ـ هنا ـ مشكلة ، فيكون من باب مقولة عمرو بن شرحبيل [أبو ميسرة ت ٩٣هـ] : (ما من لسان إلا في القرآن) ومقولة أبي إسحاق [ت١١٧ هـ] (في القرآن من كل لسان) [١] .

خامسًا : وأما الاعتراض الخامس : القائل بأن العلماء قد اختلفوا في تعيين القبائل التي نزل بلغتها القرآن الكريم على سبعة أحرف ، مما يفيد تخطئة تفسير الأحرف باللغات ، فهذا الاعتراض يناقش بأمرين :

الأمر الأول :

اختلاف العلماء حول اللهجات التي نزل بها القرآن الكريم حقيقة لا مهرب منها ، يقول الزركشي : (ثم اختلف القائلون بهذا ـ أي تفسير الأحرف السبعة باللغات ـ في تعيين السبع فأكثروا) [٢] . وهذه الكثرة يمكن تصنيفها في الأقوال الآتية :

القول الأول :

القرآن الكريم نزل على سبع لغات ، وقد قال بذلك طائفة من العلماء :

أخرج أبو عبيد عن ابن عباس ، قال : (نزل القرآن بلغة الكعبين : كعب قريش ، وكعب خزاعة ، قيل : وكيف ذاك ؟ قال : لأن الدار واحدة ، يعني أن خزاعة كانوا جيران قريش ، فسهلت عليهم لغتهم) [٣] . وصلة الكعبين بالسبع لغات يوضحها السيوطي في قوله :(ولهما سبع لغات) [٤]

---

(١) حديث نزول القرآن ٤٧ .

(٢) البرهان ١/ ٢١٩ .

(٣) فتح الباري ١٩ / ٣١ .

(٤) الإتقان ١ / ١٤٠ .

٢ ـ ذكر ابن حجر عن أبي صالح عن ابن عباس ، قال : (نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن ، قال [١] : والعجز : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف وهؤلاء كلهم من هوازن ، يقال لهم : عليا هوازن وسفلى تميم ، يعني بني درام) [٢] .

* ونلاحظ في النص ما يلي :

أ ـ الاقتصار على أربع لغات من هوازن .

ب ـ لم يصل العدد إلى سبع لغات التي نص عليها في أول النص (نزل القرآن على سبع لغات) .

* وهاتان ملاحظتان تتلاشيان في ظل ما قاله السيوطي : (سبع لغات : أربع لعجز هوازن : سعد بن بكر وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثلاث لقريش) [٣] . وإن كان هذا القول أثبت ست لغات ـ فقط ـ فإنه يمكن إضافة اللغة السابعة من النص الأول ، وهي لغة ثقيف ، فتكون اللغات السبع كالآتي :

سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف ، وثلاث لقريش : ويكون ابن عباس ﷺ قد أثبت لغة قريش ضمن السبع لغات ـ كما هو مبين في نصه الأول .

٣ ـ وقال أبو عبيد : (قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم

---

(١) أي أبو عبيد القاسم بن سلام . ينظر البرهان ١ / ٢٨٣ .

(٢) فتح الباري ١٩ / ٣١ والبرهان ١ / ٢٨٣ .

(٣) الإتقان ١ / ١٤٠ .

واليمن)[١] .

٤ ـ وقال غيره : (خمس لغات في أكناف هوازن : سعد وثقيف وكنانة ، وهذيل ، وقريش ، ولغتان على جميع ألسنة العرب)[٢] .

ويبدو أن الذي قال بذلك هو الكلبي [ت ٢٤٠هـ] ، لأن عبارته كما نسبها إليه الزركشي والسيوطي : (خمسة منها لهوازن ، وثنتان لسائر العرب)[٣]

٥ ـ وقال أبو حاتم السجستاني : (نزل بلغة قريش ، وهذيل ، وتميم[٤] والأزد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر)[٥] .

٦ ـ وذكر السيوطي قولاً : (لغة لقريش ، ولغة لليمن ، ولغة لجرهم ، ولغة لهوازن ، ولغة لقضاعة ، ولغة لتميم ، ولغة لطيء)[٦] .

٧ ـ وذكر النيسابوري : (وقال بعضهم : إنها سبع قبائل من العرب : قريش ، وقيس ، وتميم ، وهذيل ، وأسد ، وخزاعة ، وكنانة ، لمجاورتهم قريشا)[٧] .

٨ ـ وقيل : نزل بلغة مضر ـ خاصة ـ وأصحاب هذا القول احتجوا بما يلي :

---

(١) النشر ١ / ٢٤ .

(٢) النشر ١ / ٢٤ .

(٣) البرهان ١ / ٢٢٠ ، والإتقان ١ / ١٤٠ .

(٤) في فتح الباري (تيم الرباب) ١٩ / ٣١ .

(٥) الإتقان ١ / ١٣٥ .

(٦) السابق .

(٧) هامش جامع البيان ١ / ٢١ .

أ ـ قول عمر ﷺ : (نزل القرآن بلغة مضر) [١] .

ب ـ وأخرج أبو داود في المصاحف ، عن عمر ﷺ قال : (إذا اختلفتم في اللغة ، فاكتبوها بلسان مضر) [٢] .

ج ـ قول عثمان ﷺ : (نزل القرآن بلغة مضر) [٣] .

د ـ حُب ابن مسعود ﷺ أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مضر [٤] .

تفسير نزول القرآن بلغة مضر :

وعين بعضهم فيما حكاه ـ ابن عبد البر ـ السبع من مضر ، أنهم هذيل ، وكنانة ، وقيل ، وضبة ، وتيم الرباب ، وأسد بن خزيمة ، وقريش ، فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات) [٥] . فهذا التفسير ألحق هذا الرأي بهذا القول .

اعتراض على القول بنزول القرآن بلغة مضر :

واعترض على الرأي الذي يقول بأن القرآن نزل بلغة مضر وحكى هذا الاعتراض القرطبي ، فقال : (وأنكر آخرون أن تكون كلها في مضر ، وقالوا : في مضر شواذ لا يجوز أن يقرأ القرآن بها ، مثل : كشكشة قيس ، وتمتمة تميم وهذه لغات يرغب عن القرآن بها ، ولا يحفظ عن السلف فيها شيء) [٦] .

---

(١) فتح الباري ١٩ / ٣٢ .

(٢) الجامع ١ / ٩٢ .

(٣) فتح الباري ١٩ / ١٠ .

(٤) فتح الباري ١٩ / ٣٢ .

(٥) فتح الباري ١٩ / ٣٢ ، وقد ذكر القرطبي هذه القبائل دون ضبة وبدل تيم الرباب تميماً . الجامع ١ / ٩٢ .

(٦) الجامع ١ / ٩٢ .

* ولكن يرد على هذا الاعتراض بأنه قرئ بهذه اللغات المتوغلة في الخصوصية، كما سيأتي:

فلم يرغب عن القراءات بها في يوم من الأيام.

ويجاب عن سؤال يدور في الأذهان: لماذا اقتصر العلماء على هذه السبع؟ هل أرادوا حقيقة العدد؟ أم أرادوا أمرًا آخر؟

اقتصار العلماء على السبع يريدون بذلك تحقيق العدد المذكور في الحديث، ويكونون بذلك أرادوا الأفصح يقول ابن عبد البر: (وتعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة!! وأجيب بأن المراد أفصحها [1]. وقال أبو عمرو بن العلاء: (أفصح العرب عليا هوازن، وسفلى وتميم) [2].

وإذا أريد الأفصح، فلا مانع من الفصيح، كما سبق بيان ذلك، ولذلك نجد مقولة: (لمجاورتهم قريشًا) ونجدهم يذكرون هوازن ويخصون من بين قبائلها سعد بن بكر، وهل في تخصيص سعد بن بكر ميزة إلا الفصاحة؟!

ومع قانونية الفصيح والأفصح والعمل بذلك في تفسير إرادة السبع إلا إنني أميل إلى القول بأن حقيقة السبع ليست مراده، ولكن المراد السعة والكثرة، لأننا إذا نظرنا في أقوال العلماء نجد مجموع القبائل التي ذكروها في نصوصهم السابقة، حسب الترتيب الأبجدي:

الأزد ـ أسد ـ تميم ـ تيم الرباب ـ ثقيف ـ جرهم ـ جشم بن بكر ـ خزاعة ـ

---

(١) الصاحبي لابن فارس ٤١ / تح. السيد أحمد صقر / مطبعة عيسى البابي الحلبي / القاهرة.

(٢) فتح الباري ١٩ / ٣١.

ربيعة ـ سعد بن بكر ـ ضبة ـ طيء ـ قريش ـ قضاعة ـ قيس ـ كنانة ـ نصر بن معاوية ـ هذيل ـ هوازن ـ اليمن .

فهؤلاء عشرون قبيلة وليست سبعًا ، وهذا يدل على أن العدد سبع مقصود به الكثرة والتضعيف ، واختلاف معايير الفصاحة والبلاغة ، جعلت العلماء يختلفون، فبينما يرى عالم قبائل معينة لمجاورتها قريشًا ، يرى آخر قبائل أخرى لبعدها عن مواطن التحضر ، أو لعلهم وجدوا تمثيل القرآن لهذه القبائل فاختار كل واحد منهم الأكثر شيوعًا من وجهة نظره .

كذلك هناك دليل على الكثرة هو أنهم عندما يعدُّون هوازن ضمن السبع قبائل ، ألم يكن ذلك على سبيل الإجمال الذي فصله آخرون ؟!!

القول الثاني :

نزل القرآن الكريم بلغة الحجازيين إلا قليلًا منه وهو رأي الشيخ جمال بن مالك ، حيث قال : (أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلًا منه فإنه نزل بلغة التميميين فمن القليل : إدغام : ﴿ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ ﴾ [الحشر : ٤] ، ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ [المائدة : ٥٤] في قراءة غير نافع وابن عامر ، فإن الإدغام في المجزوم ، والاسم المضاعف لغة تميم ولهذا قل ، والفك لغة أهل الحجاز ، ولهذا كثر ، نحو : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢١٧] ، ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ ﴾ [البقرة:٢٨٢] ، ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١] ، ﴿ يُمْدِدْكُمْ ﴾ [آل عمران:١٢٥] ، ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ﴾ [النساء:١١٥ ، والأنفال ١٣] ، ﴿ مَن يُحَادِدِ ﴾ [التوبة:٦٣] ، ﴿ فَلْيَمْدُدْ ﴾ [الحج: ١٥] ، ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً ﴾ ، ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾ ،

﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى ﴾ [طه: ٢٧ ، ٣١ ، ٨١] ، قال : وأجمع القراء على نصب ﴿ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ [النساء: ١٥٩] لأن لغة الحجازيين التزام النصب في المنقطع ، وإن كان بنو تميم يتبعون كما أجمعوا على نصب ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾ [يوسف: ٣١] لأن القرآن نزل بلغة الحجازيين .

وزعم الزمخشري [ت ٥٣٨هـ] أن قوله ـ تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل:٦٥] أنه استثناء منقطع جاء على لغة بني تميم) (١) .

ففي هذا النص ما يلي :

١ ـ الاعتراف بتمثيل القبائل العربية في القرآن بنسب متفاوتة .

٢ ـ الظواهر الصوتية والنحوية متمثلة في اللهجات .

٣ ـ الرد على مقال : إن القرآن نزل بلهجة واحدة .

القول الثالث :

نزل القرآن الكريم بلغات مفرقة فيه ، يقول الأزهري : (فالذي أذهب إليه في تفسير قوله : « نَزَلَ الْقرآن عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» ما ذهب إليه أبو عبيد ، واتبعه على ذلك أبو العباس : أحمد بن يحيى ، فأما قول أبو عبيد . . . يعني سبع لغات من لغات العرب ، قال : وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، هذا ما لم نسمع به ، قال : ولكن نقول : هذه اللغات متفرقة في القرآن ، فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة أهل اليمن ،

---

(١) البرهان ١/ ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، والإتقان ٢ / ١٠٣ ، ١٠٤ .

وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله واحدة)[١].

ومما يدل على صدق كلام أبي عبيد أنه قام بصنع مؤلف في هذا الشأن أسماه لغات القبائل[٢]. عزا فيه أكثر من ثلاثمائة لفظة، منها ثمانون كلمة معزوة لقريش، والباقي معزو لقبائل أخرى بنسب متفاوتة، وإن زادت على السبع.

القول الرابع:

نزل القرآن الكريم بلغة قريش، وصدى هذا القول في القديم والحديث.

أولا: في القديم:

يقول ابن قتيبة وغيره: (لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش، لقوله ـ تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [إبراهيم:٤] فعلى هذا تكون اللغات السبع في بطون قريش وبذلك جزم أبو على الأهوازي)[٣].

وذكر ابن فارس [ت٣٩٥هـ] عن بعض العلماء قوله: [أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشًا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أن الله ـ جل ثناؤه ـ اختارهم من جميع العرب واصطفاهم، واختار منهم نبي الرحمن ﷺ فجعل قريشًا قطان حرمه، وجيران بيته الحرام، وولاته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم،

(١) تهذيب اللغة ٥ / ١٣ [حرف].

(٢) مطبوع هامش على تفسير الجلالين.

(٣) البرهان ١/ ٢١٨ وفتح الباري ١٩ / ٣١.

وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم ...) [١] . ويقول : (ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم ، ولا عجرفية قيس ، ولا كشكشة أسد ، ولا كسكسة ربيعة ، ولا الكسر الذي نسمعه من أسد وقيس ، مثل : «تعلمون» و«تعلم» ومثل «شعير» و« بعير») [٢] .

وحكى السيوطي عن ثعلب قوله : (ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم ، وتلتلة بهراء ، وكسكسة ربيعة ، وكشكشة هوازن ، وتضجع قيس ، وعجرفية ضبة وفسر تلتلة بهراء بكسر أوائل أفعال المضارعة) [٣] .

ولعل هؤلاء العلماء احتجوا بما يلي :

أ ـ قول الله ـ تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم : ٤] .

ب ـ ما أخرجه أبو داود عن طريق كعب الأنصاري [ت٦١هـ] : (أن عمر كتب إلى ابن مسعود : إن القرآن نزل بلسان قريش لا بلغة هذيل) [٤] ، وذلك حين بلغه أن ابن مسعود يقرئ أهل هذيل : ﴿ عَتَّى حِينٍ ﴾ بدل ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يوسف : ٣٥] فأنكر عليه ونهاه أن يقرئ الناس بلغة هذيل ، وأمره أن يقرئهم بلغة قريش ، لأن القرآن نزل بلغتهم .

ج ـ ما أخرجه البخاري عن سيدنا عثمان ﷺ أنه قال للنفر الذين أمرهم أن يكتبوا المصاحف : (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن ،

---

(١) الصاحبي ٣٣ .

(٢) السابق ٣٤ .

(٣) المزهر ١ / ٢١١ .

(٤) فتح الباري ١٩ / ١٠ ، ٣٢ ، والمحتسب ١ / ٣٤٣ .

فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن نزل بلسانهم، ففعلوا)[١].

د ـ قول ابن شهاب [الزهري ت١٢٤هـ]: (فاختلفوا ـ يومئذ ـ في «التابوت» و«التابوه»، فقال القرشيون: «التابوت» وقال زيد «التابوه» فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوها: «التابوت» فإنه نزل بلغة قريش)[٢].

هـ ـ كتبة القرآن الكريم من قريش (أموي ـ أسدي ـ مخزومي)[٣].

ثانيا: في الحديث:

يقول الأستاذ الرافعي: (نزول القرآن الكريم بلغة قريش وهو أفصح الأساليب العربية بلا مراء، والله يحكم ما يشاء ويقدر)[٤].

ويقول الدكتور / طه حسين: (أما أن هذه اللغة العربية الفصحى التي تجدها في القرآن والحديث، وما وصل إلينا من النصوص المعاصرة للنبي وأصحابه لغة قريش، فما نرى أنه يحتمل شكًّا أو جدالًا، فقد أجمع العرب على ذلك بعد الإسلام واتفقت كلمة علمائهم ورواتهم ومحدثيهم ومفسريهم على أن القرآن نزل بلغة قريش، أو قل على أن هذا الحرف الذي بقي لنا من الأحرف السبعة إنما هو حرف قريش وقد يكون من التكلف والحذق أن يجمع العرب كافة على أن لغة القرآن هي لغة قريش، وألا يظهر في العصر الإسلامي الأول ولا في أيام بني أمية ولا في أيام بني العباس من ينكر هذا

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم ٤٩٨٦.

(٢) فتح الباري ١٩ / ٢٣، والجامع ١ / ١٠١.

(٣) السابقان.

(٤) ينظر تاريخ آداب العرب ٩٤ / مكتبة الإيمان / ط١ / ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

أو يجادل فيه رغم ما كان من الشعوبية الأعجمية ومن الشعوبية الحميرية ومن الخصومات السياسية بين قريش وغيرها من قبائل مضر ، ثم يزعم زاعم أن هذه اللغة ليست لغة قريش ، وإنما هي لغة قبيلة أخرى مهما تكن هذه القبيلة) ثم يجد نفسه مضطرًا لهذا القول لعدة جهات ، فيقول : (فنحن مضطرون أمام هذا الإجماع من جهة ، وأمام قرشية النبي من جهة أخرى ، وأمام نزول القرآن في قريش من جهة ثالثة ، وأمام فهم قريش للفظ القرآن في غير مشقة ولا عنت من جهة رابعة ، وأمام اتفاق في اللغة واللهجة مع ما صح من حديث النبي القرشي ومن الرواية عن أصحابه القرشيين من جهة خامسة ، إلا أن نسلم بأن لغة القرآن إنما هي لغة قريش) [١] .

القول الخامس :

نزل القرآن الكريم بلهجات العرب ـ جميعًا ـ حكى النيسابوري ، فقال : (وقيل : سبع لغات من أي لغة كانت من لغات العرب) [٢] .

*** وهذا الرأي هو الأحرى بالقبول والأولى بالصواب وذلك لما يلي :**

أولا : اختيار بعض العلماء لهذا الرأي : مثال ذلك :

١ ـ يذكر البخاري بابًا أسماه : (نزل القرآن بلسان قريش والعرب) : ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف:٢] ، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [٣] [الشعراء:١٩٥] .

٢ ـ يقول أبو ميسرة : (في القرآن من كل لسان) [٤] .

---

(١) في الأدب الجاهلي ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) هامش جامع البيان ١ / ٢١ .

(٣) صحيح البخاري بشرح ابن حجر ١٩ / ١٠ .

(٤) الإتقان ٢ / ١٠٦ .

ثانيا : التطبيق العملي لهذا الرأي ، وهذا واضح من الأمور الآتية :

١ ـ ألف ابن عباس ﷺ كتاب غريب القرآن [١] . أودع فيه بعضًا من ألفاظ القرآن الكريم المفسرة بلهجات العرب ، ولنأخذ نماذج للدلالة على ذلك :

أ ـ قول الله ﷻ : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ [البقرة:١٣] ، والسفيه : الجاهل بلغة غسان [٢] .

ب ـ وقوله : ﴿ رَغَدًا ﴾ [البقرة:٣٥] يعني الخصب بلغة طيء [٣] .

ج ـ وقوله : ﴿رِجۡزًا﴾ [البقرة:٥٩] يعني عذابا بلغة هذيل [٤] .

د ـ قوله : ﴿ خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة:٦٥] يعني صاغرين لغة كنانة [٥] .

هـ ـ قوله : ﴿ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾ [البقرة:١٧٦] يعني لفي ضلال بعيد بلغة جرهم [٦] .

٢ ـ وكذلك ألف أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب لغات القبائل ، كذلك صنع ابن حسنون .

وإذا كان هذا دليلًا على اللغات المفرقة في القرآن فإنه يمكن إلقاء الضوء على أن القراءات حكت اللهجات في جميع مستويات اللغة ، فمن ذلك على

---

(١) حققه وقدم له د/ أحمد بولوط / مكتبة الزهراء / ط ١ / ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

(٢) غريب القرآن ٣٨ .

(٣) السابق .

(٤) السابق .

(٥) السابق .

(٦) السابق ٣٩ .

سبيل المثال لا الحصر :

أولا : المستوى الصوتي :

مثال : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٧] قراءة الجمهور ولا الضالين بألف بعد الضاد ، وقراءة أيوب السختياني [ت١٣١هـ] : ﴿ ولا الضألين﴾ بهمزة بعد الضاد [١] . يقول ابن جني : (وحكى أبو العباس محمد بن يزيد [المبرد] عن أبي عثمان [المازني ت ٢٤٩هـ] عن أبي زيد [الأنصاري] ، قال : سمعت عمرو بن عبيد [ت ١٤٤هـ] يقرأ : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَأنٌّ ﴾ [الرحمن : ٣٩] قال أبو زيد : " فظننته قد لحن إلى أن سمعت العرب ، تقول : شأبة ومأدة ودأبة ، وعليه قول كُثَيِّر [ت ١٠٥هـ] : [الطويل]

إِذَا ما الْعَوَالِي بِالْعَبِيطِ احْمَأَرَّت

وقال : [الطويل]

وَلِلأَرْضِ أَمَّا سُودُهَا فَتَجَلَّلَتْ بَيَاضًا وَأَمَّا بِيضُهَا فَادهَأَمَّتْ

ويقول أبو حيان : (وعلى ما قال أبو الفتح : إنها لغة ينبغي أن ينقاس ذلك)[٣] .

فهمز الحركات الطويلة مبالغة في تحقيق الهمز ، يقول د/ الموافي : (وأما القبائل التي مالت إلى التحقيق فقد ذكرنا منها تميمًا وقيسًا ، ومن المحققين ـ أيضًا ـ بنو أسد (من ربيعة) وكلب (قضاعة) وغنى (من قيس عيلان) بل إن هؤلاء قد يبالغون فيهمزون ما لاحظ للهمز فيه .

---

(١) المحتسب ١ / ٤٦ والبحر ١ / ٣٠ .

(٢) المحتسب ١ / ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) البحر ١ / ٣٠ .

روى أن العجاج [ت٩٠هـ] كان يهمز (العألم والخأتم) وأن بني أسد كانوا يهمزون (يأجوج ومأجوج ويؤنس) وسمع رجل من كلب يقول : هذه دأبة ، وهذه امرأة شأبة بهمز الألف فيهما ، وسمعت امرأة من غني تقول : رثأت زوجي بأبيات ، ومن هذا الباب قولهم : (استلأمت الحجر) وهو من السلام ، أي : الحجارة ، وأصله (استلمت) وحلأت السويق (وهو من الحلاوة) ولبأت بالحج (وهو لبيت) وقد سميت هذه الهمزة بهمزة التوهم ، قال ابن منظور : (كأنها ـ أي من قالت : رثأت زوجي ـ لما سمعت رثأت اللبن) ذهبت إلى أن مرثية الميت منها .

ومن ذلك : قراءة أهل المدينة : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَائِشَ ﴾ [الأعراف:١٠] وقرأ ابن كثير : ﴿ وَكَشَفَتْ عَن سَأْقَيْهَا ﴾ [النمل:٤٤] وقراءته : ﴿ بِالسُّؤْقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [ص: ٣٣] وقراءة عمرو بن عبيد : ﴿ إِنسٌ وَلَا جَأْنٌّ ﴾ [الرحمن:٣٩] وقراءة أيوب السختياني : ﴿ وَلاَ الضَّأْلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٧] (١) .

مثال : ﴿ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا ﴾ [البقرة: ٦١] .

ـ «وفومها» الثوم ، ويؤيد ، هذا التفسير قراءة عبد الله بن مسعود وابن عباس «وثومها» (٢) . قيل : وهي لغة مضر ، واختيار المبرد ، وقال الفراء [ت٢٠٧هـ] : وهي لغة قديمة) (٣) . وهناك صيغ بالثاء والفاء معزوة إلى ناطقيها ، نوردها ـ

(١) خصائص لهجتي تميم وقريش د/ الموافي الرفاعي البيلي ٦٠ ، ٦١ / مطبعة السعادة / ط ١ / ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

(٢) المحتسب ١ / ٨٨ .

(٣) البحر ١ / ٢١٩ .

هنا ـ لنوضح نسبة الحرفين :

١ - تميم تقول : تلثمت على الفم ، وغيرها يقول : تلفمت [١] .

٢ ـ الأثافي ولغة بني تميم الأثاثي [٢] .

٣ ـ والواحدة مغفور قال : وأسد تقول مغثور [٣] .

٤ ـ : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٦] قرأ عبد الله بن مسعود «حَدَبٍ» «جَدَثٍ» يقول ابن جني : (هو القبر بلغة أهل الحجاز والجدف بالفاء لبني تميم) [٤] . ويقول أبو حيان : (قرأ عبد الله وابن عباس ﷺ : من كل جدث بالثاء المثلثة ، وهو القبر ، وقرئ بالفاء ، الثاء للحجاز ، والفاء لتميم) [٥] .

مثال : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ [آل عمران:١٤٠] .

« قرح» بالفتح لغة الحجاز ، والضم لغة تميم [٦] . وعلى لغة تميم جاءت قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي وخلف والأعمش ، وعلى لغة الحجاز

---

(١) اللسان د / ٣٩٩٦ ، ٤٠٥٦ [لثم] [الفم] .

(٢) الإبدال لابن السكيت ١٢٧ / تح د . حسين محمد محمد شرف / الهيئة العامة / القاهرة/ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ، والمزهر ١ / ٤٦٥ .

(٣) الإبدال ١٢٦ .

(٤) المحتسب ٢ / ٦٦ .

(٥) البحر ٦ / ٣٣٩ .

(٦) لغات القبائل : هامش على الجلالين ١/ ٦٩ ، والمصباح ٦٨١ [قرح] .

جاءت قراءة الباقين [١] .

مثال : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ [يس:٦٠] .

أعهد فيها قراءات ولهجات [٢] :

أ ـ قراءة الجمهور : « أعهد» بفتح الهمزة وبالعين والهاء .

ب ـ قراءة طلحة [بن مصرف ت ١١٢ هـ] والهذيل بن شرحيل الكوفي : « أعهد» بكسر الهمزة ، وهي لغة تميم ، وهذا الكسر في النون والتاء أكثر من بين حروف المضارعة ، بمعنى نعهد وتعهد .

ج ـ قراءة يحيى بن وثاب [ت ١٠٣هـ] « أحد» لغة تميم« وأحهد» ، و« أحد» على لغة تميم ، ومنه قولهم : دحًّا محًّا ، يريدون دِعَّها محَّها ، أدغموا العين في الحاء .

د ـ قراءة الهذيل بن وثاب ﴿ ألم أعهد بكسر الميم والهمزة وفتح الهاء ، وهي لغة من كسر أول المضارع سوى الياء ، ولكن ـ هناك ـ لغة لبعض كلب ، أنهم يكسرون أيضًا ـ في الياء ، يقولون : هلم يعلم .

هـ ـ قراءة ابن وثاب ﴿ أعهد﴾ بكسر الهاء : يقال : عهد يعهد ، من باب نعم ينعم ، وضرب يضرب .

مثال : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى:٩] .

(١) الإتحاف ١ / ٤٨٨ (بتصرف) .

(٢) ملخصة من البحر ٧ / ٣٤٣ .

« تقهر» الجمهور بالقاف ، وابن مسعود وإبراهيم التيمي [ت ٩٢هـ] بالكاف ، بدل القاف ، وهي لغة بمعنى قراءة الجمهور [١] . ويعزو ابن السكيت [ت ٢٤٤هـ] إحدى اللغتين إلى أصحابها ، فيقول : وقهرت الرجل أقهره ، وكهرته أكهره ، قال : وسمعت بعض بني غنم بن دوران من بني أسد ، يقول : (فلا تكهر) [٢] .

ثانيا : المستوى البنيوي :

مثال : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [البقرة : ١٩] .

« الصواعق» قرأ الحسن : (الصواقع ونسبت قراءة الحسن إلى بني تميم) [٣] .

ويضيف النحاس بعض بني ربيعة [٤] .

مثال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ .

[البقرة:٢٦]

«لا يستحي» وقرأ الجمهور : « يستحيي» بياءين ، والماضي (استحيا) وهي لغة أهل الحجاز . . . وقرأ ابن كثير في رواية شبل [ت١٤٨هـ] وابن محيصن ويعقوب (يستحي) بياء واحدة وهي لغة بني تميم ، يجرونها مجرى يستبي قال الشاعر [عمرو التغلبي] : [الطويل]

---

(١) البحر ٨ / ٤٨٦ .

(٢) الإبدال ١١٤ .

(٣) مختصر في شواذ القرآن ٣ والبحر ١ / ٨٦ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١ / ١٩٤ / تح د/ غازي زاهد / مكتبة النهضة العربية / ط٣ / ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

أَلاَ تَسْتَحِي مِنَّا مُلُوكٌ وَتَتَقِي مَحَارِمُنَا لاَ يَبُوءُ الدَّمُ بِالدَّم

والماضي استحى ، قال الشاعر [المتنبي ت ٣٥٤هـ] : [الطويل]

إِذَا مَا اسْتَحَيْنَ المَاء يغرض كَرعن بست في إناء من الورد

مثال : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ [آل عمران: ٤٩]

«تدخرون» جاء في البحر : (وقرأ الجمهور : « تدخرون» بدال مشددة ، وقرأ مجاهد والزهري وأيوب السختياني وأبو السمال : « تدخرون» بدال ساكنة وخاء مفتوحة) [٢] . والتشديد والتخفيف لغتان ، يقول ابن سلام : (تدخرون) مثقل بلغة تميم ، (تدخرون) مخفف بلغة كنانة) [٣] .

مثال : ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ ﴾ [الأنفال:٤٢] .

« القصوى» يقول الأشموني [نحو ٩٠٠هـ] : (وأما قول الحجازيين : «القصوى » فشاذ قياسًا ، فصيح استعمالًا ، نبه به على الأصل ، وتميم يقولون : « القُصيا» على القياس [٤] . وعلى لغة تميم جاءت قراءة زيد بن على (القُصيا) [٥] .

مثال : ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف:٥٥] .

---

(١) البحر ١ / ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) البحر ٢ / ٤٦٧ .

(٣) لغات القبائل هامش على الجلالين ١ / ٥٩ .

(٤) حاشية الصبان على شرح الأشموني ٤ / ٣١٢ / دار إحياء الكتب العربية .

(٥) البحر ٤ / ٥٠٠ .

« قبلا » قرئت بعدة قراءات [1] :

أ ـ « قبلا » بضم القاف والباء وهي قراءة الحسن والأعرج والأعمش وابن أبي ليلى [ت١٤٨هـ] وخلف وأيوب وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني وابن جرير والكوفيين .

ب ـ «قبلا» بكسر القاف وفتح الباء ، وهي قراءة السبعة ما عدا الكوفيين ، ومجاهد وعيسى بن عمر [الثقفي ت ١٥٠هـ / الهمداني ت ١٥٦هـ] ونسبت لكنانة [2] .

ج ـ « قبلا » بضم القاف وسكون الباء ، وهي تخفيف قبل على لغة تميم ، وهي قراءة أبي رجاء الحسن .

د ـ « قبيلا » وقرأ بها أُبَيّ بن كعب وابن غزوان [عتبة ت ١٧هـ] عن طلحة

مثال : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان : ١٨] .

«تصعر» صعر : مشدد العين لغة بني تميم ، قال شاعرهم [عمرو بن حنى] :

[الطويل]

وَكُنَّا إِذَا الْجبارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَيُقَوَّمُ

وتصاعر لغة الحجاز [3] . ويربط الدمياطي القراءات باللهجات ، فيقول : (فنافع وأبو عمرو والكسائي وخلف بالألف بعد الصاد وتخفيف العين ، لغة

---

(١) ملخصة بتصرف من البحر ٦ / ١٣٩ .

(٢) لغات القبائل لابن سلام هامش على الجلالين ١ / ١٣٧ .

(٣) البحر ٧ / ١٨٢ .

الحجاز ، وافقهم اليزيدي والأعمش ، والباقون بتشديد العين بلا ألف لغة تميم ، من الصعر ، داء يلحق بالإبل في أعناقها فيميلها [(١)] .

مثال : ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [القدر: ٥] .

«مطلع» قرأ الجمهور : « مطلع» بفتح اللام ، وأبو رجاء والأعمش وابن وثاب وطلحة وابن محيصن والكسائي وأبو عمرو بخلاف عنه بكسرها ، فقيل : هما مصدران في لغة بني تميم ، وقيل : المصدر بالفتح وموضع الطلوع بالكسر عند أهل الحجاز [(٢)] .

ثالثا : المستوى التركيبي :

مثال : ﴿ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾ [البقرة : ٢٦] وقرأ الجمهور بنصب « بعوضة» [(٣)] . وقرأ الضحاك وإبراهيم بن أبي عبلة [ت ١٥١هـ] ورؤبة بن العجاج [ت١٤٥هـ] وقطرب [ت٢٠٦هـ] « بعوضة» بالرفع [(٤)] . وقد ثبت أن الرفع لهجة ناس من بني تميم [(٥)] .

ويعزوها القرطبي إلى تميم [(٦)] .

---

(١) الإتحاف ٢ / ٣٦٣ .

(٢) البحر ٨/ ٤٩٧ .

(٣) السابق ١ / ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٤) السابق .

(٥) معاني القرآن للأخفش ١/ ٩٥ . تح د . هدى محمود قراعة ـ مطبعة المدني ـ مصر ط١ / ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

(٦) الجامع ١ / ٢٨٧ .

مثال : ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾ [البقرة : ٢٤٦] .

«عسيتم» قرأ نافع «عسيتم» بكسر السين - هنا - وفي سورة القتال [٢٢] وقرأ الباقون بفتحها ، قال أبو بكر الآذفوي [محمد بن علي ت ٣٨٨هـ] وغيره : إن أهل الحجاز يكسرون السين مع عسى مع المضمر خاصة ، وإذا قيل : عسى زيد فليس إلا الفتح ، ويقيد المضمر بـ (ت المتكلم ، ت المخاطب ، ن الإناث) وذلك على سبيل الجواز لا الوجوب ، ويفتح فيما سوى ذلك على سبيل الوجوب)[1] .

وتتصل بـ («عسى» قضية أخرى يتحدث عنها ابن عقيل [ت٧٦٩هـ] فيقول : (اختصت «عسى» من بين سائر أفعال هذا الباب إذا تقدم عليها اسم جاز أن يضمر فيها ضمير يعود على الاسم السابق ، وهذه لغة تميم ، وجاز تجريدها عن الضمير ، وهذه لغة الحجاز ، وذلك نحو : زيد عسى أن يقوم ، فعلى لغة تميم يكون في «عسى» ضمير مستتر يعود على زيد «وأن يقوم» في موضع نصب بـ «عسى» وعلى لغة الحجاز لا ضمير في «عسى» وأن يقوم في موضع رفع بـ «عسى» . وتظهر فائدة ذلك في التثنية والجمع والتأنيث : فتقول - على لغة تميم : هند عست أن تقوم ، والزيدان عسيا أن يقوما ، والزيدون عسوا أن يقوموا ؛ والهندان عستا أن تقوم والهندات عسين أن يقمن .

وتقول - على لغة الحجاز : هند عسى أن تقوم ، والزيدان عسى أن يقوما والزيدون عسى أن يقوموا ، والهندان عسى أن تقوما ، والهندات عسى أن

---

(١) ملخصًا بتصرف من البحر ١ / ٢٥٥ .

يقمن)[(١)] .

وقد ورد للهجتين صدًّى في القرآن وقراءته ، فقد قال الله ـ سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ [الحجرات : ١١] .

وهذا السياق ـ على حد تعبير الشيخ / محمد محيى الدين [ت١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م] (مطابق للغة أهل الحجاز : لأن (عسى) مجردة من ضمير القوم في الجملة الأولى ، ومن ضمير النساء في الجملة الثانية ، فهي تامة مسندة إلى (أن والفعل) ولو أجريت على النقصان لقيل عسوا أن يكونوا خيرًا منهم «وعسين أن يكن خيرًا منهن»[(٢)] . وورد صدى للهجة تميم في قراءة عبد الله وأُبي : ﴿عسوا أن يكونوا . . . وعسين أن يكن ﴾[(٣)] .

مثال : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٦] .

« يا حسرتا» قراءة الجمهور : « يا حسرتى» بإبدال ياء المتكلم ألفا ، وأبو جعفر ، « يا حسرتي» بياء الإضافة وعنه : « يا حسرتاي» بالألف والياء : جمعًا بين العوض والمعوض ، والياء مفتوحة أو ساكنة ... أراد تثنية الحسرة مثل : لبيك وسعديك وألف التثنية في تقدير الياء على لغة بلحارث بن كعب[(٤)] .

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١/ ٣٤٣/ دار التراث ط٢٠ / ١٤٠٠هـ.

(٢) هامش شرح ابن عقيل ١ / ٣٤٤ .

(٣) البحر ٨/ ١١٣ ويراجع الإتحاف ١ / ٤٤٨ .

(٤) البحر ٧/ ٤٣٥ .

مثال : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الزخرف : ٧٦] .

الظالمين : هذه قراءة الجمهور ، على أن (هم) فصل ، وقرأ عبد الله ، وأبو زيد النحويان : «الظالمون» بالرفع على أنهم خبر هم ، و « هم» مبتدأ ، وذكر أبو عمرو الجرمي : [ت ٢٢٥هـ] أن لغة تميم جعل ما هو فصل عند غيرهم مبتدأ ، ويرفعون ما بعده على الخبر ، وقال أبو زيد : سمعتهم يقرؤون : ﴿تَجِدُوهُ عِندَ الله هُوَ خَيرٌ وَأَعظَمُ أَجرًا ﴾ [المزمل:٢٠] يعني برفع «خير وأعظم» وقال قيس بن ذريح [ت ٦٨هـ] : [الطويل]

تَحِنُّ إِلَى لَيْلَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا ... وَكُنْتَ عَلَيْهَا بِالملاَ أَنْتَ أَقْدَرُ

قال سيبويه : إن رؤبة يقول : أظن زيدًا هو خير منك «يعني بالرفع» (١) .

مثال : ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل:٢٠] .

«ابتغاء» قراءة الجمهور بنصب « ابتغاء» وهو استثناء ؛ لأنه ليس داخلًا في «من نعمة» وقرأ ابن وثاب بالرفع على البدل ، في موضع «نعمة» لأنه رفع ، وهي لغة تميم .

وأنشد بالوجهين قول بشر بن أبي خازم [ت ٢٢ ق .هـ] : [البسيط]

أَضْحَتْ خَلاَءً قِفَارًا لاَ أَنِيسَ بَها ... إِلاَّ الجآذِرُ وَالظَّلْمَاتُ تَخْتَلِفُ

وقول الراجز [جران العود ت ٦٨هـ] : [الرجز]

وبلدةٍ ليس بها أَنِيس ... إلاَّ اليَعافيرُ وإلا العِيسُ (١)

---

(١) البحر ٨/ ٢٧ .

رابعا : المستوى الدلالي

لقد سبق أن ضربنا أمثلة عديدة لهذا المستوى عند حديثنا عن الآراء التي فسرت الحديث ، وخاصة الرأي السابع ، وكذلك عند الحديث عن اللغات المفرقة في القرآن الكريم .

تعليق :

هذه القراءات وغيرها كثير - متواترها وشاذها - من الأحرف السبعة - قد اشتملت على جميع مستويات اللغة ، ودعوى حصر الحديث في الجانب الدلالي لا نسلم بها في هذا البحث ، كما لا نسلم بدعوى حصره في الجانب الصوتي ، كما ذهب إلى ذلك د/ إبراهيم أنيس ، فقال : (ويجب ألا تعدو تلك الأحرف النواحي الصوتية من اختلاف في مخرج الصوت ، وتباين في صفته بين جهر وهمس ، أو شدة أو رخاوة ، أو تباين في موضع النبر من الكلمة ، أو مقاييس أصوات اللين ، إلى غير ذلك من الموضوعات التي يعرض لها علم الأصوات اللغوية ، لأن لكل شعب من الشعوب صفات تميزه من غيره ، وتكون جزءًا عامًّا مما يسميه المحدثون بالعادات الكلامية) [٢] .

ثالثا : ذكر أكثر من سبع قبائل في بعض النصوص :

من ذلك : (وقال بعضهم : أصل ذلك وقاعدته قريش ، ثم بنو سعد بن بكر ، لأن النبي ﷺ استرضع فيهم ، ونشأ وترعرع ، وهو مخالط في اللسان كنانة وهذيلا ، وثقيفًا ، وخزاعة ، وأسدًا ، وضبة ، وألفافها لقربهم من مكة ، وتكرارهم عليها ، ثم من بعد هذه تميمًا وقيسًا ، ومن انضاف إليهم وسكن

---

(١) البحر ٨/ ٤٨٤ .

(٢) في اللهجات العربية ٥٧ .

جزيرة العرب)[١].

* ففي هذا النص يلاحظ ما يلي:

١ - القبائل أكثر من سبع (قريش - سعد بن بكر - كنانة - هذيل - ثقيف - خزاعة - أسد - ضبة - تميم - قيس) فهذه عشر قبائل بإضافة من انضاف إليهم.

٢- عبارة: (وسكن جزيرة العرب).

رابعا: توفيق العلماء بين قريش وغيرهم:

من ذلك: قول ابن عبد البر: (قول من قال: إن القرآن نزل بلغة قريش موجود صحيح في القراءات، مع تحقيق الهمزات، ونحوها وقريش لا تهمز)[٢].

فهذا القول - وإن كان يعترف بأن القرآن نزل بلغة قريش، فإنه يقرر في الوقت ذاته بتمثيل القبائل الأخرى بنسب قليلة أو كثيرة.

خامسا: مناقشة آراء وأدلة القول بنزول القرآن بلغة قريش:

١ - لا بد أن يناقش رأي ابن قتيبة - هنا - في ظل رأيه السابق الذي يقر فيه بالتمثيل العربي في القرآن الكريم، حينما قال: (فالهذلي يقرأ: ﴿عَتَّى حِينٍ﴾ يريد ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ [يوسف:٣٥] لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدى يقرأ: «تعلمون» و «تِعلم» و «تِسْوَدُّ وُجُوهٌ» و «أَلَمْ أَعْهَدَ إِلَيْكُمُ» والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة:١١] و﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ [هود: ٤٤] بإشمام الضم مع الكسر، و ﴿هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا

---

(١) البرهان ١/ ٢١٩.

(٢) السابق ١/ ٢٨٤، ويراجع الإتقان ٢/ ١٠٣.

﴿رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف : ٦٥] بإشمام الكسر مع الضم ، و ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ [يوسف :١١] بإشمام الضم مع الإدغام ، وهذا ما لا يطوع به كل إنسان) [١] .

فالتطبيق العملي عند ابن قتيبة يرد كلامه النظري .

٢ ـ ويعد ابن فارس ـ أيضًا ـ من الذين ينظرون من طرف خفي إلى قريش والعرب على سواء في تمثيل القرآن للهجاتهم ، لأنه في الوقت الذي رعى فيه اصطفاء قريش ، رعى الوفود وتأثيرها في هذه اللغة المنتقاة و ـ أيضًا ـ بابه القول في اختلاف لغات العرب .

٣ ـ قولهم بارتفاع قريش عن اللهجات المتوغلة في الخصوصية ، كعنعنة تميم ، وكشكشة قيس ، إلى غير ذلك ، فإنه قد قرئ بكثير من هذه اللهجات ، وهذه القراءات من الأحرف السبعة دون شك .

ومن أمثلة ذلك ما يلي :

أ ـ يقول الله ـ تعالى : ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم : ٢٤] . يقول القرطبي : (فأما كشكشة قيس ، فإنهم يجعلون كاف المؤنث شينًا ، فيقولون في : ﴿جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ : ﴿جَعَلَ رَبُّشِ تَحْتَشِ سَرِيًّا﴾) [٢] .

*** ونلاحظ في هذا النص ما يلي :**

١ ـ نسبة الكشكشة إلى قيس ، في حين يعزوها ابن فارس إلى أسد [٣] ،

---

(١) انظر ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) الجامع ١ / ٩٢ .

(٣) الصاحبي ٣٤ ، ٣٥ .

ويعزوها الأشموني إلى تميم [١] .

٢ ـ عدم التصريح بالقراءات فيها ، في حين قال بعض العلماء : (وقراءة بعضهم : ﴿ جَعَلَ رَبُّشِ تَحْتَشِ سَرِيًّا ﴾ [٢] .

٣ ـ عندما ثبتت قراءة ولهجة فلا داعي لقول من يقول : (وأي ضرورة بالقائل إلى أن يقلب الكاف شينًا ، وهي ليست في سجع ولا فاصلة) [٣] .

ب ـ قال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

(وفتح نون «نستعين» قرأ بها الجمهور ، وهي لغة الحجاز ، وهي الفصحى ، وقرأ عبيد بن عمير الليثي[ت ٧٤هـ] ، وزر بن حبيش [ت ٨٢هـ] ويحيى بن وثاب ، والنخعي [ت ٩٠هـ] ، والأعمش بكسرها ، وهي لغة قيس وتميم وأسد وربيعة ، وكذلك حكم حرف المضارعة في هذا الفعل وما أشبهه ، وقال أبو جعفر الطوسي هي لغة هذيل) [٤] .

ج ـ في قول الله ـ تعالى : ﴿ حَتَّى حِينٍ ﴾ [يوسف : ٣٥] يقرؤها ابن مسعود ﷺ : ﴿ عَتَّى حِينٍ ﴾ بإبدال الحاء من « حتى » عينا ، وهي لغة هذلية .

د ـ : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر : ١] .

«أعطيناك» قراءة الجمهور بالعين والحسن وطلحة وابن محيصن

---

(١) شرح الأشموني ٤ / ٢٨٢ .

(٢) السابق .

(٣) الصاحبي ٣٧ ، ٣٨ .

(٤) البحر ١ / ٢٣ ، ٢٤ .

والزعفراني [ت ٢٥٩هـ] أنطيناك «بالنون» وهي قراءة مروية عن رسول الله ﷺ قال التبريزي : [ت ٥٠٢هـ] هي لغة العرب العاربة من أولى قريش . . . أبدل من العين نونا ، فإن عنيا النون في هذه اللغة مكان العين في غيرها فحسن ، وإن عنيا البدل الصناعي فليس كذلك بل كل واحدة من اللغتين أصل بنفسها لوجود تمام التصرف من كل واحد فلا يقول : الأصل العين ثم أبدلت النون منها (١) .

ويقول الدكتور أنيس : ونسب الرواة ـ أيضًا ـ إلى قبائل سعد بن بكر وهذيل والأزد والأنصار أنهم كانوا يقلبون العين في الفعل «أعطى» إلى نون ، فيقولون : «أنطى» وقد قرئ : ﴿إنا أنطيناك الكوثر﴾ وقد سمي الرواة هذه الظاهرة بالاستنطاء) (٢) . فالكشكشكة ، والتلتلة ، والفحفحة ، والاستنطاء ، ظواهر لهجية متوغلة في الخصوصية ، لكنها قرئ بها ، فلم يرغب عنها للاحتجاج بها ، وكفى بها فائدة .

٤ ـ وأما الآية فيجاب عنها بما يلي :

أ ـ لا يستلزم أن يكون النبي ﷺ أرسل بلسان قريش ـ فقط لكونهم قومه ، بل أرسل بلسان جميع العرب ، لأنه أرسل إليهم كلهم ، بدليل أنه خاطب الأعرابي الذي سأله بما يفهمه بعد أن نزل الوحي عليه بجواب مسألته ، فدل على أن الوحي كان ينزل عليه بما يفهمه السائل من العرب قريشًا كان أو غير قرشي ، والوحي

---

(١) البحر ٨/ ٥١٩ .

(٢) في اللهجات العربية ١٤٠ ، ١٤١ .

أعم من أن يكون قرآنًا يتلى أو لا يتلى [١] .

ب ـ يقول ابن بطال [ت٤٤٩هـ] : (إن الوحي كله متلوًّا كان أو غير متلو ، إنما نزل بلسان العرب ، ولا يرد على هذا كونه ﷺ بعث إلى الناس كافة ـ عربًا أو عجمًا وغيرهم ـ لأن اللسان الذي نزل عليه به الوحي عربي ، وهو يبلغه إلى طوائف العرب ، وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم) [٢] .

ج ـ هذه الآية لا تصلح إلا دليلًا وحجة على نزول القرآن بلسان العرب لا بلسان قريش ، أو بلسان قبيلة معينة ، أو قبائل خاصة) [٣] .

د ـ مخاطبة النبي ﷺ لوفود العرب جميعًا ـ حتى قيل له : نراك تكلم الوفود بما لا نفهم أكثره ، فقال : « أَدبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي وَرُبِّيتُ فِي بَنِي سَعْدٍ » [٤] . فلو كان اللسان لسان قريش ـ فقط ـ لأتى النبي ﷺ بالمترجم له .

٥ ـ وأما مناقشة إنكار عمر ﷺ لقراءة ابن مسعود ﷺ فقد جاء كلام حولها في القديم والحديث :

أ ـ ففي القديم :

ذكر ابن حجر : (وكان ذلك قبل أن يجمع عثمان الناس على قراءة

---

(١) فتح الباري ١٩ / ١١ ، ١٢ .

(٢) السابق ١٩ / ١٢ .

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد على ٨/ ١٠٨ / ط ٢ / دار العلم للملايين / ١٩٧٦م .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/ ٤) تح طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي / دار إحياء الكتب العربية .

واحدة ، قال ابن عبد البر بعد أن أخرجه من طريق أبي داود بسنده : يحتمل أن يكون هذا من عمر على سبيل الاختيار ، لا أن الذي قرأ به ابن مسعود لا يجوز ، قال : وإذا أبيحت قراءته على سبعة أوجه أنزلت جاز الاختيار فيما أنزل ، قال أبو شامة : ويحتمل أن يكون مراد عمر ثم عثمان بقولهما : نزل بلسان قريش أن ذلك كان أول نزوله ، ثم إن الله ـ تعالى ـ سهله على الناس فجوز لهم أن يقرؤوه على لغاتهم على أن لا يخرج ذلك عن لغات العرب لكونه : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ فأما من أراد بقراءته من غير العرب فالاختيار له أن يقرأ بلسان قريش ، لأنه الأولى ، وعلى هذا يحمل ما كتب به عمر إلى ابن مسعود ، لأن جميع اللغات بالنسبة لغير العربي مستوية في التعبير ، فإذا كان لابد من واحدة فلتكن بلغة النبي ﷺ وأما العربي المجبول على لغته فلو كلف قراءته بلغة قريش لعثر عليه التحول مع إباحة الله له أن يقرأ بلغته)[١] .

ب ـ وفي الحديث :

يقول أحد الباحثين المعاصرين : (مثل هذه الرواية بعيدة الاحتمال ، لأنها تناقض التيسير في القراءات القرآنية كما تخالف ما رمى إليه الحديث الشريف : «**أُنْزِلَ الْقُرآن عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**» إلا إذا أراد عمر أن ينهى ابن مسعود عن إرغام القرشيين على القراءة بغير ما يستطيعون ، وما تميل إليه ألسنتهم)[٢] .

ويقول د/ عبد الجواد الطيب : (ومما هو جدير بالذكر أنه على الرغم من أن القراءة قد روعي فيها السماع من الرسول ﷺ وأن التيسير في القراءات كان أمرًا

(١) فتح الباري ١٩ / ٣٢ .

(٢) اللهجات العربية د/ إبراهيم نجا ١٠٨ / ط السعادة / ١٢٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

موقوفًا على السماع فإنه قد ثبت أن بعض الصحابة كان يقرأ ـ أحيانًا ـ بالمرادف، أو بطريقة الأداء التي تناسب لهجة قومه، ولو لم يكن ذلك من سماعه، وقد ذكر من هذا القبيل تلك القراءة التي قرأ بها ابن مسعود)[1].

والتفسير القديم هو أصح التفسيرات وأوجه التأويلات، لأن إنكار عمر مبنى على أن ابن مسعود يقرئ الناس على غير المشهور إلى المشهور في نطاق المروي عن رسول الله ﷺ.

٦ ـ وأما مناقشة قول عثمان ﷺ: (.... فاكتبوها بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم) فإنه يرد عليه بما جاء عن بعض العلماء: (قال القاضي أبو بكر بن الباقلاني: معنى قول عثمان: نزل القرآن بلسان قريش، أي معظمه، وإنه لم تقم دلالة قاطعة على أن جميعه بلسان قريش، فإن ظاهر قوله ـ تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف:٣] أنه نزل بجميع ألسنة العرب، ومن زعم أنه أراد مضر دون ربيعة، أو هما دون اليمن، أو قريشًا دون غيرهم فعليه البيان، لأن اسم العرب يتناول الجميع تناولًا واحدًا، ولو ساغت هذه الدعوى لساغ للآخر أن يقول: نزل بلسان بني هاشم مثلًا، لأنهم أقرب نسبا إلى النبي ﷺ من سائر قريش. وقال أبو شامة: يحتمل أن يكون قوله: نزل بلسان قريش، أي ابتداء نزوله، ثم أبيح أن يقرأ بلغة غيرهم ... وتكملته أن يقال: إنه نزل أولًا بلسان قريش أحد الأحرف السبعة، ثم نزل بالأحرف السبعة المأذون في قراءتها تسهيلًا وتيسيرًا ... فلما جمع عثمان الناس على حرف واحد رأى أن الحرف الذي نزل القرآن أولًا بلسانه أولى الأحرف، فحمل الناس عليه لكونه لسان النبي ﷺ ولما له من الأولوية المذكورة، وعليه يحمل كلام عمر لابن مسعود ـ

---

(١) من لغات العرب: لغة هذيل ١١٢.

أيضًا)[١].

٧ ـ ويصدق القول السابق ما جاء في شأن الاختلاف حول كتابة «التابوت» أو «التابوه» وأن هذا الاختلاف كان اختلافًا لهجيًا صدقه السماع من النبي ﷺ يقول أبو حيان: (وقرأ الجمهور «التابوت» بالتاء، وقرأ أُبي وزيد «التابوه» بالهاء، وهي لغة الأنصار)[٢]. فـ«التابوت» لغة قريش وعليه قراءة الجمهور، «والتابوه» لغة الأنصار، وعليها جاءت قراءة أُبي وزيد بن ثابت.

وفي تعليل هذا، يقول ابن جني: (هذان الحرفان من أصلين): أحدهما: (ت ب ت) والآخر: (ت ب ه) ثم من بعد هذا فالقول: إن الهاء في (التابوه) بدل من التاء في «التابوت» وذلك لما ذكره: وهو أن كل واحد من التاء والهاء حرف مهموس، ومن حروف الزيادة في غير هذا الموضع، وأيضًا فقد أبدلوا الهاء من التاء ـ التي للتأنيث ـ في الوقف، فقالوا: حمزة، وطلحة، وقائمة، وجالسة، وذلك منقاد مطرد في هذه التاء عند الوقف، ويؤكد هذا أن عامة عُقيل لا نزال نتلقاه من أفواهها تقول في الفرات: الفراه، بالهاء في الوصل والوقف، وذلك في الأنس بذلك أنك ترى التاء في الفرات تشبه في اللفظ تاء فتاة وحصاة وقطاة، فلما وقف وقد أشبه الآخرُ الآخرَ أبدل التاء هاء ثم جرى على ذلك في الوصل، لأنه لم يكن البدل عن استحكام العلة علة فيراعى حال الوقف من حال الوصل، ويفصل بينهما)[٣].

٨ ـ ويرد على الأستاذ الرافعي بما قاله نفسه: (وكانت تلك القبائل

---

(١) فتح الباري ١٩ / ١٠ ويراجع الجامع ١ / ٩١.

(٢) البحر المحيط ٢ / ٢٦١.

(٣) المحتسب ١ / ١٢٩، ١٣٠.

بطبائعها متباينة اللهجات، مختلفة الأقيسة المنطقية المودعة في غرائزها، فكان قريش يسمون لغاتهم، ويأخذون ما استحسنوه منها، فيديرون به ألسنتهم، ويجرون على قياسه، ولو كانوا بادين ما فعلوه) [١]. فهذا وإن كان في دور متقدم، إلا أن القبائل لها تأثير كبير في اللهجة القرشية.

٩ ـ وأما ما قاله د/ طه حسين، فإنه يمكن الرد عليه بما يلي:

أولًا: من جهة الإجماع، نقول: إن العلماء لم يجمعوا على نزول القرآن بلغة قريش، فأحيانًا يجعلون قريشًا ضمن قبائل نزل بلغاتها القرآن، يقول ابن عباس ﷺ: (نزل القرآن بلغة الكعبين: كعب قريش، وكعب خزاعة) [٢]. ويقول أبو حاتم السجستاني: (نزل بلغة قريش وهذيل وتيم الرباب، والأزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر) [٣]. ويقول السيوطي: (لغة لقريش، ولغة اليمن، ولغة لجرهم، ولغة لهوازن، ولغة لقضاعة، ولغة لتميم، ولغة لطيء) [٤]. وأحيانًا لا يذكرون قريشًا، يقول ابن عباس ﷺ: (نزل القرآن على سبعة أحرف، أو قال: سبع لغات، منها خمسة بلغة العجز من هوازن، وهم الذين يقال لهم: عليا هوازن، وهن خمس قبائل أو أربع، منها: سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف) [٥].

---

(١) تاريخ آداب العرب ٧٨.

(٢) فتح الباري ١٩ / ٣١.

(٣) السابق.

(٤) الإتقان ١ / ١٤٠.

(٥) الصاحبي ٤١.

فأين الإجماع في هذه النصوص ؟

ثانيًا : من جهة قرشية النبي ﷺ يرد عليها بما يلي :

أ ـ النبي ﷺ قرشي المولد والنشأة عالمي الرسالة والدعوة ، بدليل قوله ـ تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وإلا لو قلنا بقرشيته ونزول القرآن بلغة قريش لقلنا ـ أيضًا ـ بقرشية الكعبة والبيت الحرام ، وبذلك نفتح باب محلية رسالة الإسلام ، على حد تفسير من يقصدون ذلك بقول الله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الشورى:٧] . وهو تفسير غير صحيح ، لأن القرآن حوى من الألفاظ غير العربية ، مثل المشكاة والإستبرق .

ب ـ النبي ﷺ قرشي ، ومع ذلك كلم وحدث الوفود بلهجاتهم ، بحيث أثار إعجاب القرشيين أنفسهم ، فقال علي : نراك يا رسول الله تكلم الوفود بما لا نفهم أكثره ، فقال : «أَدبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي» .

ج ـ قال رسول الله ﷺ : «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ ؛ بَيْدَ أَنِي مِنْ قُرَيْشٍ ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنَ بكْرٍ» [1] .

ويعلق أبو عبيد ، فيقول : (وأحسب أفصح هؤلاء بني سعد بن بكر ، وذلك لقول رسول الله ﷺ : « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ ؛ بَيْدَ أَنِي مِنْ قُرَيْشٍ ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنَ بكْرٍ » وكان مسترضعًا فيهم ، وهم الذين قال فيهم أبو عمرو ابن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم) [2] .

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ١ / ١٤٠ .

(٢) الصاحبي ٤١ .

وقد قرأ النبي ﷺ بعض الكلمات القرآنية بهذه اللهجة، فقد ورد عن صفوان ابن عسال أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿يَا يَحْيَى﴾ فقيل له: يا رسول الله، تميل؟ وليس هي لغة قريش؟!! فقال: «هِيَ لُغَةُ الأَخْوَالِ بَنِي سَعْدٍ»(١). وقرأ علي وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿ونادوا يا مال﴾ وذلك خلاف المصحف، وقال أبو الدرداء وابن مسعود: قرأ النبي ﷺ: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِ﴾ باللام ـ خاصة ـ يعني رخم الاسم، وحذف الكاف)(٢). وهي لغة طيء(٣).

ثالثا: من جهة نزول القرآن في قريش، فيجاب عنها بما قاله د/ الموافي: (فهو ارتباط بالمكان لا بالقبيلة، وإلا فهل: نزل المدني منه في قريش ـ أيضًا؟!)(٤).

رابعًا: من جهة فهم القرشيين للألفاظ دون مشقة ولا عنت فإنه يرد عليها بما يلي:

١ ـ لفظ ـ الأبّ ـ من قول الله ـ تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١] لا يعرفه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما يقول القرطبي: (سئل أبو بكر الصديق عن تفسير الفاكهة والأب، فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم، وقال أنس: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية، ثم قال: كل هذا قد عرفناه، فما الأب؟ ثم رفع عصًا كانت بيده، وقال: هذا لعمر الله التكلف، وما لا عليك يا بن أم عمر

---

(١) ينظر مختصر شواذ القرآن ١٦٣، والجامع ٩ / ٦١٦٤.

(٢) الجامع ٩ / ٦١٦٤.

(٣) في اللهجات العربية ١٣٤.

(٤) فصول في علم اللغة ١٣٩ / ط ١ / ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

ألا تدري ما الأب ، ثم قال : اتبعوا ما بُين لكم من هذا الكتاب ، وما لا فدعوه)[(١)] .

٢ ـ لفظ « حَرَجًا» من قول الله تعالى : ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام:١٢٥] . يسأل عنه عمر بن الخطاب ﷺ فيما حكاه عنه مكي في قوله : (وقد اختلف في فتح الراء وكسرها عند عمر بن الخطاب ، فسأل ابن الخطاب رجلًا من كنانة راعيًا : فقال : ما الحرجة عندكم ؟ قال : الحرجة : الشجرة تكون بين الأشجار ، لا تصل إليه راعية ولا وحشية ولا شيء ، فقال عمر : كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير)[(٢)] .

٣ ـ لفظ « التخوف» من قول الله ـ تعالى : ﴿ أَوْ ﴾ ﴿ تَخَوُّفٍ ﴾ [النحل : ٤٧] يسأل عنه عمر ، وهو على المنبر فيما حكاه عنه سعيد بن المسيب [ت ٩٤هـ] فيقول : (بينما عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر ، قال : يا أيها الناس ما تقولون في قول الله ﷻ : ﴿ أَوْ ﴾ ﴿ تَخَوُّفٍ ﴾ فسكت الناس ـ فقال شيخ من بني هذيل : هي لغتنا يا أمير المؤمنين : التخوف : التنقص ، فخرج رجل ، فقال : يا فلان ما فعل دَيْنُك ، قال : تخوفته أي تنقصته ، فرجع فأخبر عمر ، فقال عمر : أتعرف العرب ذلك في أشعارهم ، فقال : نعم ، قال شاعرنا أبو بكر الهذلي [ت ١٠هـ] يصف ناقةً تنقصَ السير سنامها بعد تمكه واكتنازه : [البسيط]

---

(١) الجامع ١٠ / ٧٢٥٨ .

(٢) الكشف ١ / ٤٥٠، ٤٥١ .

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا   كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفِنُ

فقال عمر : يا أيها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم) [1] .

٤ ـ لفظ « فاطر» من قول الله ـ تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر : ١] لا يعرفه حَبْرُ الأُمة وترجمان القرآن ابن عباس ﷺ يقول : (كنت لا أدرى ما فاطر السماوات والأرض ، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، أي أنا ابتدأتها) [2] .

فأبو بكر وعمر وابن عباس قرشيون ، ولهم القدم الراسخة في الفصاحة والبلاغة ، ومع ذلك غابت عنهم بعض الألفاظ القرآنية فسألوا عنها ، أو تركوا البحث فيها .

خامسًا : من جهة اتفاق اللغة واللهجة مع ما صح من حديث النبي ﷺ القرشي ، ومن الرواية عن أصحابه القرشيين ، فإنه قول لم يصب كبد الحقيقة ، لأنه وردت أحاديث وروايات بغير اللهجة القرشية ، وإليك بعض الأمثلة بالإضافة إلى ما سبق من قراءاته ﷺ بالإمالة والتفخيم :

المثال الأول : ذكره ابن الأثير [ت ٦٠٦هـ] فقال : (وفي حديث الدعاء : «لا مانع لما أنطيت ولا منطي لما منعت» هو لغة أهل اليمن في (أعطى) ومنه الحديث : « اليد المنطية خيرٌ من اليد السفلى» ومنه كتابه لوائل بن حجر

---

(١) الجامع ٥/ ٣٨٣٥ .

(٢) الجامع ٨/ ٥٥٩٠ .

«وأنطوا النيحة» وقوله لرجل آخر: «أنطه كذا» وفي حديث زيد بن ثابت كنت مع النبي ﷺ وهو يملي كتابا، فدخل رجل، فقال له: «انط» أي اسكت بلغة حمير)(١).

المثال الثاني: قال الرسول ﷺ: «لَيْسَ مِنْ أمْبِرِ أمْصَيامِ فِي أمْسَفَر» وهي لغة حمير فكانت تقلب اللام في أداة التعريف ميما وسموه هذا طمطمانيه حمير(٢).

المثال الثالث: روى أن عامر بن الطفيل [ت ١١هـ] أتاه (فوثبه وسادة) وفي رواية (فوثب له وسادة) أي ألقاها له، وأقعده عليها، والوثاب الفراش بلغة حمير، والوثاب في غير لغة حمير: النهوض والقيام)(٣).

المثال الرابع: روى أن النبي ﷺ قال مخاطبا حمنة بنت جحش: «أَيُّهَا فَعَلْتُ فَقَدْ أَجْزَأَ عَنْكِ»(٤). وقد ثبت أن (أجزأ) لغة تميم(٥). وقد تحدث ـ أيضًا ـ باللغة المشتركة في هذا الفعل (جزى) فقد صح عنه ﷺ أنه قال لبردة ابن نيار [ت أول خلافة معاوية] في الجذعة التي أمره أن يضحي بها: «وَلاَ

---

(١) النهاية ٥/ ٧٦.

(٢) في اللهجات العربية ١٤٠. والحديث في مسند الإمام أحمد ٥/ ٤٣٤ باب باقي مسند الأنصار. وقال شعيب الأرنؤوط في تخريجه بسند الإمام أحمد ٣٩/ ٨٤، ٨٥ حديث رقم (٢٣٦٧٩) وإسناده صحيح وفي المعجم الكبير ١٩/ ١٤٢ حديث رقم (٣٨٧) وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ٤/ ٤٧٦ تح محمد على النجار ـ القاهرة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٣) النهاية ٥/ ١٥٠.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/ ٤٣٩.

(٥) الصحاح ٦/ ٢٣٠٢ (جزى).

يَجْزِي عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكِ»[١] .

ويقول أبو عبيد : (ومنه حديث يروى عن عبيد بن عمير أن رجلًا كان يداين الناس ، وكان له كاتب ومتجازٍ ، وكان يقول : إذا رأيت الرجل معسرًا فأنظره ، فغفر له) . والمُتجازي : المُتقاضي ، قال الأصمعي : أهل المدينة يقولون : أمرت فلانا يتجازَى ديني على فلان ، أي يتقاضاه)[٢] .

المثال الخامس : يقول الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه : « لاَ أُحْزِنُكَ فِي أُمَّتِكَ يَا مُحَمَّد»[٣] . كما وردت هذه الصيغة على لسان معاذ بن جبل ﷺ عندما قال : (يا رسول الله : أتأذن لي أن أسألك عن كلمة قد أمرضتني وأحزنتني)[٤] .

وقد ورد أن صيغة (أحزن) في مقابل (حزن) لغة تميم[٥] .

تعليق :

هذه أمثلة لبعض الأحاديث والروايات والتي جاءت بلهجات عربية ، كما جاءت باللهجة القرشية ، بل ـ أحيانًا ـ تتجاوز لغة الحديث إلى غير العربية ، جاء في غريب الحديث : (ومجامرهم الألوة) في صفة أهل الجنة ، وكان ابن عمر يستجمر بالألوة ، غير مطراه ، والكافور يطرحه مع الألوة ، ثم يقول :

---

(١) غريب الحديث للهروي ١ / ٥٦ .

(٢) غريب الحديث ١/ ٥٧ .

(٣) مسند أحمد ٥ / ٣٩٣ .

(٤) السابق ٥ / ٢٤٥ .

(٥) الصحاح ٥ / ٢٠٩٨ ، والمصباح ١٨٣ ، واللسان ٢/ ٨٦١ (حزن) .

هكذا رأيت رسول الله ﷺ يصنع .

قال الأصمعي : هو العود الذي يتبخر به وأراها كلمة فارسية عربت ، قال أبو عبيد : فيها لغتان : الألَوة والألُوة بفتح الألف وضمها ، ويقال : الألوة خفيف [١] .

الأمر الثاني :

تخطئة القول بتفسير الأحرف باللغات بناء على اختلاف العلماء حول تعيين القبائل التي نزل بلهجاتها القرآن الكريم قول ليس بالقوى ، لأن اختلافهم كان نابعًا من حرصهم على مواطن الفصاحة والبلاغة التي نزل بها القرآن الكريم وكيف يكون في القرآن من لغات غير العرب كما قرر ذلك بعض العلماء ولا يكون فيه من لهجات العرب ؟

*** فالرأي الذي أميل إليه في كل ما سبق : أن القرآن الكريم نزل بلغات العرب ـ جميعًا ـ سواء كانت هذه اللغات أو من باب الترادف ، أو من أبواب الأصوات والبنية والتراكيب .**

*****



(١) غريب الحديث ١ / ٥٤ .

الخاتمة


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

وبعـد

فهذه جولة سريعة في حديث [نـزول القـرآن عـلى سـبعة أحـرف] وبعـد التعليق عليه ومناقشة الآراء بالأدلة والحجج نخرج بما يلي :

١ ـ قصر تفسير الحديث على مستوى واحد من مستويات اللغة كما زعـم ذلك علماء وباحثون في القديم والحديث لا نسلم بـه ؛ لأنـه دعـوى رفـضها البحث العلمي النزيه .

٢ ـ القراءات نزلت بلهجات العرب ـ جميعًـا ــ بنـسب متفاوتـة ، وهـذه النسب تؤكد وتثبت تمثيل القبائل في لغة القـرآن ، وليـست تنفيـه أو تلغيـه ، وهـذا بخلاف ما ذهب إليه بعض الباحثين في القديم والحديث .

٣ ـ القراءات الشاذة من الأحرف السبعة ، فهي كالمتواترة ـ تمامًا ــ وإن كان لا يقرأ بها إلا أنه لا يغفل جانب الاستشهاد والاحتجاج بها في اللغـة .

٤ ـ القراءات القرآنية التي يقرأ بها اليوم لا تمثل الأحـرف الـسبعة ، كمـا قال فهم د/ إبراهيم أنيس ، ولكنها جزء من كل .

*****


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

المصادر والمراجع


http://www.al-maktabeh.com

المصادر والمراجع

الإبدال لابن السكيت . تح د/ حسين محمد محمد شرف . الهيئة العامة/ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة . تح / إبراهيم عطوة عوض / مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات للبنا الدمياطي . تح د/ شعبان محمد إسماعيل/ مكتبة الكليات الأزهرية / الأولى / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي . تح محمد أبو الفضل إبراهيم / مكتبة المشهد الحسيني / الأولى / ١٣٨٧هـ ـ ١٩١٧م .

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي / دار الكتاب العربي / التاسعة / ١٣٩٧هـ ـ ١٩٨٧م .

إعراب القرآن للنحاس ــ تح د / زهير غازي زاهد / مكتبة النهضة العربية / الثالثة / ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

الاستذكار لابن عبد البر/ تح سالم محمد عطا ـ ومحمد علي معوض/ دار الكتب العلمية بيروت/ طبعة أولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .

البحر المحيط لأبي حيان دار الفكر / الثانية / ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

البرهان في علوم القرآن للزركشي / تح محمد أبو الفضل إبراهيم / دار التراث / الثالثة / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . الفيروزآبادي / تح أ . محمد على النجار / القاهرة / ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ٨/ ٢٩٢/ تح مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البدري/ مؤسسة قرطبة .

تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة / تح السيد صقر / دار التراث / الثانية / ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري / تح / أحمد عبد الغفور عطار / دار العلم للملايين / الثالثة / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

تاريخ آداب العرب للرافعي / مكتبة الإيمان / الأولى / ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري / تح / عبد السلام هارون / الدار المصرية للتأليف والترجمة / ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م .

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي / دار الغد العربي / الأولى / ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

جامع البيان في تفسير القرآن للطبري / الريان / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٨م .

حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك / المكتبة الأزهرية

الحجة في علل القراءات السبع لأبي على الفارسي / تح . على النجدي ناصف وآخرين / الهيئة المصرية للكتاب / الثانية / ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

حديث الأحرف السبعة دراسة وتحليل د/ على سعد الخولي / الأولى / ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .

حديث نزول القرآن على سبعة أحرف دراسة تحليلية د/ محمد حسن حسن جبل / التركي .

حسن البيان في توضيح سبعة أحرف أنزل عليها القرآن / عبد الحميد أحمد شحاتة العدوي / مطبعة الأمانة / الأولى / ١٤٠٨هـ

الخصائص لابن جني / تح . محمد على النجار / دار الكتب العلمية / الثانية / ١٩٥٢م .

سنن سعيد بن منصور / تح د . سعد بن عبد الله آل حميدان / دار العصيمي / الرياض / الأولى / ١٤١٤هـ .

السنن الكبرى . النسائي / تح د/ عبد الغفار سليمان البنداري ، د . سيد كسروي حسن / دار إحياء الكتب العلمية / بيروت / الأولى / ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك / دار التراث / العشرون / ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

الصاحبي لابن فارس / تح السيد أحمد صقر / مطبعة عيسى البابي الحلبي / القاهرة .

صحيح ابن حبان / تح . شعيب الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة / بيروت / الثانية / ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

صحيح مسلم بشرح النووي دار الكتب العلمية / ١٣١٧هـ ـ ١٩٢٩م .

عمل اليوم والليلة . النسائي / تح . فاروق حمادة / مؤسسة الرسالة / بيروت / الثانية / ١٤٠٦هـ .

غرائب القرآن ورغائب الفرقان / النيسابوري / هامش مطبوع على جامع البيان في تفسير القرآن للطبري .

غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام / نشر الكتاب العربي /

بيروت/ ودائرة المعارف / بحيدر آباد / الأولى / ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

غريب القرآن لابن عباس / تح د/ أحمد بولوط / مكتبة الزهـراء / الأولى / ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

غيث النفع في القراءات السبع للصفاقسي / هامش مطبـوع عـلى سـراج القـارئ المبتدئ لابن القاصح / مطبعة الحلبي / الثالثة / ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م .

فتح الباري بشرح صحيح البخـاري لابـن حجـر / الكليـات الأزهريـة / ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

الفتوحات الإلهية للجمل دار الفكر / ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

فصول في علم اللغة د/ الموافي الرفاعي البيلي / الأولى / ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

فضائل القرآن . النسائي / تح . فاروق حمادة / دار إحياء الكتب العلمية / بيروت / الثانية / ١٤١٣هـ .

في الأدب الجاهلي د/ طه حسين / دار المعارف / ١٩٧٧هـ .

في اللهجـات العربيـة د/ إبـراهيم أنـيس/ مكتبـة الأنجلـو المـصرية/ الخامسة .

القاموس المحيط - الفيروزآبادي / دار الكتاب العربي / ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

القراءات القرآنية وصلتها باللهجات د/ عبد الغفار حامـد هـلال . بحـث منشور في مجلة اللغة العربية بالرياض عدد ١٢/ ١٤٠٥هـ .

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيـون الأقاويـل في وجـوه التأويـل لجار الله الزمخشري / المطبعة البهية المصرية / ١٣٤٣هـ .

الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها / مكي القيسي . تح د/ محيي الدين رمضان / مؤسسة الرسالة / الرابعة / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

لسان العرب لابن منظور / دار المعارف .

لغات القبائل لأبي عبيد القاسم بن سلام . هامش مطبوع على تفسير الجلالين / مصطفى البابي الحلبي / الثالثة / ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م .

اللهجات العربية د/ إبراهيم نجا / مطبعة السعادة / ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والاحتجاج عنها لابن جني / تح . على النجدي ناصف وآخرين / ط ١٣٨٦هـ .

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ابن عطية / تح . عبد السلام عبد الشافي محمد / دار الكتب العلمية / بيروت / الأولى / ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه / نشر براجشتراسر / طبعة مكتبة المتنبي .

المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي شرحه . . . محمد أحمد جاد / دار التراث / الثالثة .

المستدرك للحاكم / تح . مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب / بيروت/ الأولى / ١٤١٦هـ- ١٩٩٠م .

مسند إسحاق بن راهويه / تح د . عبد الغفور البلوشي / مكتبة الإيمان / المدينة المنورة / الأولى / ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

مسند الإمام أحمد / دار صادر / بيروت .

مسند الطيالسي / دا ر المعرفة / بيروت .

المصباح المنير للفيومي / المطبعة الأميرية بالقاهرة / الخامسة / ١٩٢٢م .

المصنف . ابن أبي شيبة / تح . كمال يوسف الحوت / مكتبة الرشد / الرياض / الأولى / ١٤٠٩هـ .

معاني القراءات للأزهري / تح ودراسة د/ عيد مصطفى درويش ، د/ عوض بن حمد القوزي / دار المعارف / الأولى / ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .

معجم كتاب العين . الخليل بن أحمد الفراهيدي / تح د . مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي / دار الرشد / العراق / ١٩٨٠م .

المعجم الدلالي للهجات القبائل العربية د/ الموافي الرفاعي البيلي / التركي/ الأولى / ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

المعجم الكبير / الطبراني / تح . الشيخ حمدي السلفي / مكتبة العلوم والحكم / الموصل / الثانية / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م .

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد على / دار العلم للملايين/ الثانية / ١٩٧٦م .

منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري / تح د/ عبد الحي الفرماوي / الأولى / ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

من لغات العرب : لغة هذيل د/ عبد الجواد الطيب .

مواهب الرحمن في تفسير القرآن ـ عبد الكريم محمد المدرس / الأولى / ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

موطأ الإمام مالك / تح محمد فؤاد عبد الباقي / دار الحديث / الثانية / ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

النشر في القراءات العشر لابن الجزري / تصحيح ومراجعة الشيخ / على الضباع / دار الكتب العلمية / بيروت .

النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير / تح . طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي / دار إحياء الكتب العربية .

*****




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

فهرس الموضوعات


http://www.al-maktabeh.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

